تلميذ الجن

عودة شدام

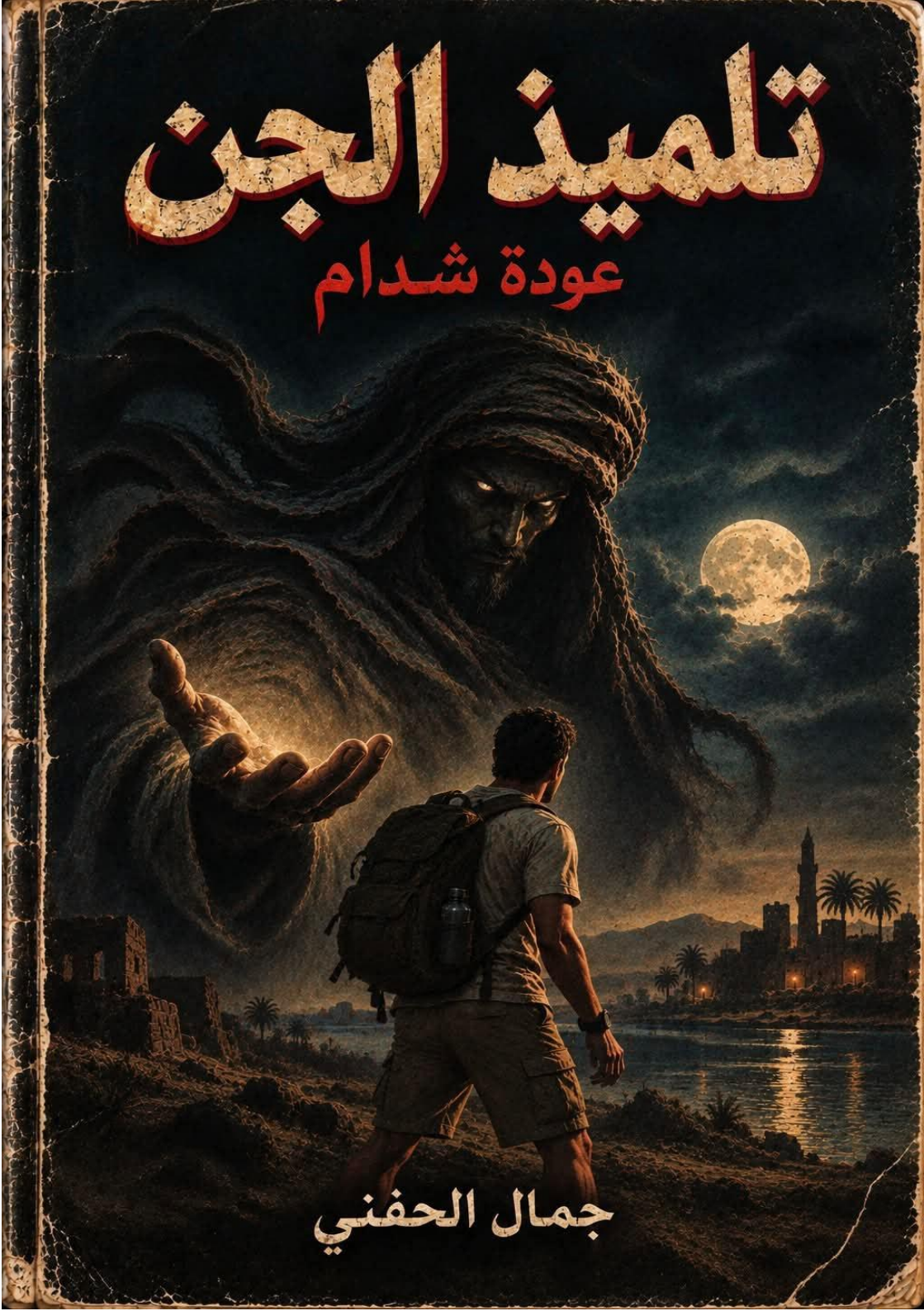

جمال الحفني

الإهداء

"إلى أصدقاء الفيس بوك, إلى كل شخص قرأ سطرا من «تلميذ الجن» وشجعني بكلمة، أو ترك تعليقا، أو انتظر الجزء الجديد، أو حتى ضغط إعجابا, كل ذلك جعلني أشعر أن ما أكتبه يصل إلى أحد."

بين عالم الإنس وعالم الجن خيط رفيع, تلميذ الجن هو من يسير عليه دون أن يسقط

كنت قاعد في الصحرا ومن عادتي إني مثلا قبل ما أنام بحب أبص على النجوم، أتابعها بعيني وأسرح في أحجامها وأشكالها، وأوقات بحاول اعمل بيها أشكال في خيالي زي ما الناس زمان كانت بتبص للنجوم وتعمل منها أشكال حيوانات، أبطال، كائنات خيالية، ومسميينها الكوكبات، مثلا كوكب الدب الأكبر، وكوكب العقرب، وكوكب الجبار ودا بيكون على شكل صياد واقف، أنا كنت من خلال سرحاني بحاول اكتشف كواكب جديدة لكن كل مرة ارسم كوكب في خيالي بيختفي تاني ليلة، مكنتش بمل وكنت بحاول أبحث عنه من جديد وهكذا...

الليلة دي فاكرها كويس، كنت مولع نار وعقلي سارح في السما، حسيت بمرهوب واقف بعيد شوية ضهره للضلمة وعيونه حمرا زي جمر النار اللي قدامي، بعدها حسيت بحضور بارد تقيل غير أي حضور حصل معايا قبل كدا، كنت نايم على ضهري وأديا الاتنين تحت راسي وباصص للسما ولوهلة كنت هقوم من مكاني اشوف فيه إيه لكن افتكرت "جرموق" الملتحق الجديد لكتيبة تلميذ الجن، ففضلت مكاني باصص للسما..

جرموق مدعيتوش قبل، ومن آخر مرة طلب ينضم لي ووافقت محصلتش حاجه تستدعي حضوره، كنت حابب استدعيه لما اخرج للشغل في الصحرا واكون على راحتي معاه واهو جي لوحده، المكان بقى بارد جدا!

مرهوب قاله بصوت خشن وهو بيبص له بنظرة مليانة شك، أنا مش مرتاح لوجودك!

جرموق ابتسم ابتسامة خفيفة، مكانتش مريحة أبدا ورد على مرهوب وقاله ولا أنا، بس مش بمزاجي ولا مزاجك!

النار فرقعت فجأة، رفعت عيني وانا حاسس إن فيه حاجه بتغلي بينهم بس سبتهم، كنت عايز اسمع..

مرهوب قرّب خطوة ناحية جرموق وهو بيظهر القوة والتحدي، وقاله أنا خدمتي واضحة، أوامر بتنفذ، مش حكايات قديمة وجن بيظهر من تحت السجادة فجأة!

جرموق لف وشه ناحيته ببطء وكإن الجملة أثرت عليه لإن عينه بقت أغمق وبقت ضبابية وقال الحكايات القديمة هي اللي بتحدد مين فينا اللي هيكمل ومين فينا اللي هينتهي زي اللي قبله.. بعدها بص لي وسألني هما قالولك مات إزاي؟

في اللحظة دي اتعدلت من نومتي وقعدت على حيلي بعد ما جرموق أثار فيا سؤال كنت هسألهوله في الآخر خالص لما أعرف كل حاجه عن المنفذ اللي قبلي، قولتله بنبرة متشككة قالولي مهمته انتهت.

جرموق ضحك ضحكة قصيرة، ناشفة، مفيهاش أي روح، وقال بسخرية انتهت! لا هما اتخلصوا منه!

جسمي اتشد، إجابة كانت في بالي دايما وخايف أصدقها مع إن محدش قالهالي، جرموق كمّل كإنه مستني اللحظة دي من سنين وقال، المنفذ اللي قبلك كان أقوى منك بكتر، طغى وتجبّر وكان فاكر إنه يقدر يتحكم فينا مش العكس..

النار وطيت فجأة بعد كلامه ودقات قلبي بقت سريعة، صوت جرموق بقى أبطأ، أعمق، كأنه بيرجع يعيش المشهد وقال، طلب حكم مش من حقه، استخدم أسماء عليا من غير إذن، وكسر العهد وكان على وشك إنه يصبح أقوى إنس خدمه الجن على مر التاريخ، القوة أحيانا بتخلي الإنسان يبطش، ينسى نفسه، القوة أشد فتنة من المال، ناس كتير بتكون ضعيفة ومكسورة الجناح وبتمشي ذليلة مهانة وبمجرد ما تملك السطوة تلاقيها طغت على ناس كانوا زيها ملهمش أي ذنب غير إنهم كانوا زيها..

جرموق قرّب مني وقعد قصادي وقصاد النار، البرودة في الجو زادت ولما حس إن حضوره جمبي قلل حرارة الجو، فجأة اتحكم في حضوره والجو حواليا رجع طبيعي عادي كإنه مش موجود، مرهوب اختفى وحسيت بحضور شدّام خلفي، تقريبا مكانش لسه اتطمن لجرموق وقاعد ورايا بيحميني من أي شيء مفاجئ.

جرموق ثبت عينه في النار، كان واضح إنه مش شايف بس شايف حاجه تاني، ذكريات آخر ليلة للمنفذ اللي قبلي، قال بصوت واطي متقطع، الليلة دي كانت آخر ليلة له، بس هو مكانش يعرف، كان قاعد زي كدا وفاكر إن كل حاجه تحت سيطرته، كانه بيؤمر والجن بينفذ، وكان بدأ ينسى إن فيه حدود بينا لو اتكسرت مفيش رجوع..

سكت ثانيتين وكمل، كان مطلوب منه يهدد واحد، جن طريد في الوديان، هارب من قبيلته، قتله هيضرنا أكتر ما ينفعنا فكان المطلوب منه البحث عنه وتهديد فقط، لكن جنون العظمة خلاّه ينسى، طلب الحكم بالقتل، مكانش حكم عدل، وكان أول مرة يستخدم طقوس وأسماء كبيرة من غير إذن، كان أول مرة صوته يعلى عليا..

النار اهتزّت كإن الكلام أثر فيها.. وكمل

وقتها حسيت بحاجه غلط، مش منه هو، من المكان كله، الأرض نفسها كانت بترفض، السما كانت سودة، مش ليل لا، كانت عبارة عن ستارة بتتقفل من فوقنا! سكت لحظة وبعدين صوته بقى أوطى، وسمعنا الصوت!

سألته بلهفة صوت إيه؟؟

رد عليا من غير ما يبص لي، قال مش صوت..حضور!

نزل جن مش من الأرض ولا من السما، جن أول مرة أشوفه، جن بس مش زينا، مش من اللي تعرفهم ولا من اللي تسمع عنهم، فصيلة مبتنزلش الأرض إلا لو الحكم خرج من إيد الكل!

النار اتطفت ورجعت ضعيفة كإنها كيان حاضر معانا وبيسمعنا..

الجن نفسه اللي زينا مشافوش قبل كدا، جن غريب كل ما تبص له تشوف شكل، وبعدين يختفي! عينه ثابتة، عين واحدة في نص الراس، سودا، تقيلة، تبص لك كأنك ولا حاجه مهما كنت قوي!

حسيت بقشعريرة من كلامة بتسري في ضهري وجسمي كلّه، منطقتش، جرموق كمل وقال هو حس بيه بس متأخر! بدأ يصرخ مش خوف لا، لكن كان غضب، أنا كنت حاضر المشهد وخفت وهو مخافش، ودا معناه إنه اتجنن خلاص، صرخ فيهم بغضب وقال أنا المنفذ، أنا اللي بحكم..

الكائن اللي ظهر ما اتكلمش، الأرض نفسها اتحركت كإنها بتطيعه ورهن إشارته، بدأت تسحب القوة من المنفذ وهو بدأ يقع، لأول مرة شوفته ضعيف!

سألته وأنا سرحان زيه في النار وقولت وبعدين؟

جرموق كمل، لحظتها مد إيده قصاد الكائن دا، حاول يستخدم الأسماء، حاول يستدعي، بس ولا اسم رد عليه، كإن ولا حد سمعه، وحتى لو سمعوه مكانوش هيعملوله حاجه، أنا كنت عايز أهرب من المكان من شدة خوفي لكن مكانش ينفع، كان لازم أبقى وفي للمنفذ مهما حصل معاه..

شدام همس لي في ودني وقال جرموق صادق، حاولت استشعر الكدب في كلامه لكنه صادق جدا وطالع من قلبه..

جرموق كمل وقال، الكائن رفع إيده، أو الشيء اللي شبه الإيد ومسك المنفذ من جسمه، من روحه، وقتها صرخ صرخة مصرخهاش إنس قبل كدا، كانت صرخة شيء بيتفكك..

بلعت ريقي، وجرموق كمل، بعدين اختفى، مماتش، اتمسح وكأنه شيئا لم يكن..

بعدها صمت تقيل، خانق، وكل حاجه رجعت عادية، السما رجعت، الأرض سكتت وكإن محصلش حاجه..

وتقريبا النار اللي قصادنا حبت تعمل زي القصة وراحت انطفت..

صحيت الساعة 3 الفجر من غير سبب مفهوم، لا كابوس ولا صوت، بس إحساس تقيل جوا صدري إن في حاجة وصلت، حاجة دخلت مكاني من غير ما تفتح باب ولا شباك، فضلت باصص للسقف ثواني بحاول أرجع أنام، لكن الإحساس كان بيزيد إن فيه حاجه غريبة موجودة في المكان!

لفيت وشي ناحية الباب وكان مقفول زي ما سبته، بس كان في حاجة تحته، حاجة صغيرة، باينة في نص الإضاءة الضعيفة اللي داخله من بره..

قمت ببطء واتمشيت بكسل ناحية الباب ولما قربت شفت ظرف، ظرف قديم، لونه مصفر، محطوط بالظبط عند عتبة الباب من جوه، وهنا أنا وقفت، لأن مفيش تفسير واحد منطقي يخلي ظرف يدخل الشقة ويتحط جوه وأنا نايم والباب مقفول! كنت مستني شدام ولا مرهوب أو حتى جرموق يهمسلي باللي حصل لكن تقريبا التلاتة مكانوش موجودين، أو موجودين وعايزين يشوفوني هعمل إيه؟

انحنيت ومسكت الظرف، وكان بارد بشكل غريب، مش برودة ورق، دي برودة حاجة كانت مدفونة، أو محفوظة بعيد عن أي حياة، واللحظة اللي لمسته فيها حسيت بحاجة خفيفة بتعدي في صوابعي كأنها نبض، حاجة ضعيفة لكنها موجودة، فتحت الظرف ببطء، والورق اللي جواه كان تقيل، تقيل بشكل مش طبيعي، وعليه كتابة بلون بني غامق، أول ما شفتها عرفت إنها مش حبر، كانت مكتوبة بالدم!

مكتوب في الجواب

الاسم: حمدي عبد الستار

المكان قرية كذا- طريق الترعة القديمة..

التنفيذ: واجب.

بس كدا؟

مفيش شرح، مفيش تفاصيل، مفيش حتى سبب؟ لكن أنا فاهم النظام كويس، لما بيجيلك أمر بالشكل ده، يبقى الحكم صادر من غير نقاش!

وقبل ما أقفل الورقة، حسيت بوجودهم، شدام كان أول واحد صوته جه جوا دماغي هادي بس تقيل وهو بيقول أخيرا!

قولت وأنا لسه باصص على الاسم، مين ده؟

ثانية من الصمت تبعها صوت مرهوب وهو بيجاوبني بخشونة وصوته فيه حدة، دا اللي المفروض مكانش يعيش لحد دلوقتي..

أنا سكت شوية وبعدين سألت، هو عمل إيه؟

الرد المرة دي مكانش بصوت، كان صورة،

اتفتحت قدامي فجأة، كأني واقف في مكان تاني، شفت راجل واقف قدام حفرة، بيحط فيها حاجة ملفوفة، وفي إيده التانية حاجة بيكتب بيها رموز على الأرض، والجو حواليه كان تقيل، نفس الإحساس اللي بييجي قبل الطقوس، وبعدين الصورة وضحت أكتر اللي كان بيتدفن مش حاجة، دي كانت بنت صغيرة، ميتة، وعلى جسمها نفس الرموز اللي على الأرض، والصورة اختفت!

رجعت لنفسي وأنا ماسك الورقة، وإيدي مش بتترعش وده كان أكتر حاجة مقلقة، مبقتش عارف إيه اللي شوفته قدام، دا طقس، ولا كفر، ولا إيه بالظبط، دا حقيقي ولا أوهام؟

شدام قال بهدوء، كان وسيط واتحول، مرهوب ضحك ضحكة قصيرة وقال باعهم وبدأ يستخدم اللي اتعلمه لنفسه..

وأنا طبعا فهمت، إن دا واحد كان عامل عهد مع الجن وكسره، ودي أكتر حاجه بتغضب الجن!

قفلت الظرف واللي قبل ما اقفله كان بيتحول لرماد وبيتبخر قبل ما يوصل الأرض، ووقفت في نص الأوضة شوية، بفكر إذا كنت هروح ولا لأ، بس الحقيقة إني ماكنتش باخد القرار، القرار كان متاخد من قبل ما الظرف يوصل..

سافرت تاني يوم على طول، الطريق كان طويل، وكل ما أقرب من المكان الإحساس يزيد، نفس الإحساس اللي بييجي لما تبقى داخل على منطقة مش بتاعتك، وصلت قبل المغرب بشوية، القرية صغيرة، بيوت قليلة، ناسها باين عليهم القلق حتى وهم واقفين عادي، سألت عليه محدش كان عايز يرد في الأول، ولما ضغطت شوية، واحد راجل كبير بص لي وسألني، أنت جايله لوحدك؟

قولتله آه، هز راسه بسخرية وقال ربنا يعينك..

بيته كان في آخر القرية، بعيد شوية، بابه مقفول بس مش مقفول بإحكام، خبطت الباب مرة واتنين مفيش رد، بعدين افتكرت إني جاي أنفذ مش جاي أناقش، رحت دفعت الباب برجلي ودخلت، وأول ما دخلت عرفت إني وصلت..

الجو جوه تقيل، تقيل بشكل يخلي النفس نفسه صعب، والريحة خليط بين تراب رطب وحاجة قديمة جدا، مشيت لجوه أكتر، وكل خطوة كانت محسوبة، لأن المكان ده مش بيته بس ده مكان شغله.

ولما شفته كان قاعد في ركن، ضهره ليا، ساكت ومش متفاجئ بدخولي عليه

بصيت ناحيته وسألته، حمدي؟

ما ردش!

خطيت خطوة كمان، الأرض تحت رجلي فيها نفس الرموز اللي شوفتها في الرؤية لكن بطريقة تاني كإنه بيعمل شيء جديد، وقبل ما اتكلم تاني هو اللي اتكلم، بس مكانش صوته، صوته كان مزدوج كإن فيه صوت تاني فوقه أو صدى له وقال اتأخرت..

الكلمة قالها كإن فيها طبقة تانية، خشنة، قديمة، كإن حد بيتكلم من وراه، أو من جواه، وقفت مكاني لحظة واللي اتعلمته في اللحظات اللي زي دي إني مبينش للي قدامي إني متفاجئ، قوته هتزيد وقوتي هتضعف، عشان كدا أول ما قالي اتأخرت رحت متقدم خطوة جديدة ناحيته وقولتله بالعكس، بصيت في الساعة ورفعتها ناحيته على الرغم من إنه مديني ضهره وكملت،

أنا جاي في ميعادي بالظبط، لف وشه ناحيتي وشوفته عينه، كانت رمادية جواها سحابة سودة بتتحرك فيها، كانت من أغرب العيون اللي شوفتها في حياتي!

الأرض تحت رجلي كانت مرسومة، أرض الغرفة كلها كانت مرسومة، خيوط متداخل جديدة وقديمة كإنها شبكة عنكبوت، بصيت حواليا الجدران كانت عليها تكملة الرسومات، لكن بشكل أهدى، كإنها ذيول أو مكملات الطلسم، قلت وأنا باصص في عنيه اللي فرحان بالقوة اللي فيهم وأظهرت إني مش واخد بالي منها أساسا، وقولتله كإني بدردش مع واحد صاحبي، كنت وسيط؟

سكت وبعدين رفع راسه وبصلي وعنيه لمعت لمعة مش مريحة وقال بفخر، وكنت شاطر..

مرهوب اتحرك جوايا، صوته كان جاف وهو بيقولي دا كداب..

سألته كسرت العهد ليه؟

وقف وهو بيبتسم ببطء وقال العهد؟ سكت وقال العهد معمول للضعيف، للي محتاج إذن عشان يستخدم القوة..

سكت ثانية وقال وهو بيقرب مني خطوة، أنا مبقيتش محتاج عهد..

الهوا بينا كان تقيل، والإحساس اللي جه في اللحظة دي كان واضح، مش مس، مش تلبس، دا اتفاق اتطور لحاجه تانية، قولتله بدأت تستخدم الطقوس لنفسك وبس؟

ما ردش عليا، بس عينه راحت ناحية الأرض، بصيت عليها بالمثل وشوفتها، بقعة سودة شكلها مكانش مفهوم في الأول، لكن لما ركزت فهمت، كان فيه أثر لجسم صغير، ولما ركزت أكتر شوفت أثر لأكتر من جسم، بصيت ناحيته وأنا بحاول أداري اشمئزازي وقولت بهدوء تقيل، أطفال؟

سكت وبعدها قال بصوت واطي جدا كإنه بيقول لنفسه قبل ما يقولي، الأطهر هم الأسرع استجابة..

مرهوب انفجر جوايا، وقال اقتله، اقتله، اقتله، كررها مرات كتير في كل مرة كان غضبه بيزيد وبيفقد السيطرة عليه، لكن شدام قال كلمة واحدة، اسمع!

قولتله انت مكنتش بتقدم، انت كنت بتاخد وبس..

ضحكته جات طويلة المرة دي وقال كنت بدفع طبعا بس زي ما اتعلمت..

وقتها الصورة جاتني تاني، مش رؤية كاملة ومش بإرادتي، كانت لقطات سريعة، شوفته فيها قاعد قدام دايرة بيحط حاجه في النص، طفل ميت مرسوم على بطنه رموز وطلاسم وبعدين حاجه بتتحرك في الضلمة، بتتحرك في لمح البصر تاخد الطفل في بقها وترجع للضلمة تاني، الصورة اختفت!!

رجعتله وقلبي مقبوش من اللي شوفته، وسألته وبعدين؟

سكت لحظة كان بيقرر فيها يقول ولالا، وبعدين قال طلبوا مني أكتر!

نبرة صوته اتغيرت بقى فيها حاجه قريبة من الغضب، قال كل مرة أكتر وفي وقت أسرع، وأنا بديهم!

سكت وبعدين رفع عنيه اللي لمعت بس المرة دي كانت لمعة مخلوطة بالحزن أو الندم وقال بس أنا مكنتش باخد كفاية زي ما بعطي!

بعدها كان واضح عليه إنه عايز ينهي النقاش ويدخل في الصراع مباشرة بعد ما قالي كل حاجه، فبكدا المفروض يتخلّص مني، لغة جسده كانت واضحة بالنسبالي، قولتله وأنا بتقدم خطوة لقدام، صدر عليك الحكم، الهوا حوالينا بدأ يهتز بشكل خفيف لكنه واضح، ابتسملي ابتسامة ساخرة ومتحدية وفي اللحظة دي حسيت بحضور طاغي في الأوضة، طاقة كبيرة حضرت في المكان، زي ما يكون معاك لمبة صغيرة ودخلها تيار كهربائي بقوة مليون وات..

ظهر كيان ضخم ورا حمدي كأنه ظل انفصل عن العالم الحقيقي وقرر يعيش لوحده جسمه الضخم ماكانش له حدود واضحة، كأن أطرافه بتذوب في الهوا وترجع تتشكل تاني، وعينيه كانت زي بوابتين مفتوحين على نار قديمة، نار مش بس بتحرق لكن بتفهم وبتراقب وبتحكم!

الصمت ملا المكان..

وقفت ثابت رغم إن كل خلية فيا كانت بتصرخ من الخطر، رفعت عيني وبصيت مباشرة في عين الكيان وبعدين بصيت في عيون حمدي وقلتله بصوت حاولت اخليه قوي أنا مش جاي أجادلك ولا أختبرك أنا جاي أنفذ حكم صادر عليك سواء أنت أو اللي واقف وراك دا..

الكيان مال رأسه ببطء حركة بسيطة لكن فيها احتقار واضح، وصوته لما خرج كان تقيل كأنه بيتسحب من أعماق الأرض، وقال حكم مين اللي يقدر يتنفذ عليا؟ أنا اللي شفت بداياتهم وسير حياتهم، أنا اللي كانوا بيستنجدوا بيا قبل ما يبقوا سادة عليك!

قبل ما ارد عليه ولا أعرف حتى أقول إيه، الأرض اهتزت تحت رجلي وظهر شدام على يميني زي دوامة من دخان أسود عيونه مشتعلة بالغضب ومرهوب على شمالي جسده صلب وعريض وكأنه جدار اتحرك من مكانه، الاتنين كانوا مستعدين لكن في عيونهم كان فيه اعتراف صامت إن المواجهة دي مختلفة!

شدام همسلي بصوت منخفض لكن حاد، الكيان دا اسمه زولغار من الفصائل اللي اتحذفت من السجلات القديمة قوته مش طبيعية حتى علينا!

مرهوب شد كتفه لقدام وقال وهو مركز عينه على الكيان سيبوهولي حتى لو قدرت أوقفه ثواني بس هتفرق..

من غير انتظار رد اندفع مرهوب فجأة بسرعة غير طبيعية، التراب اتفجر تحت رجليه وهو بيهاجم الكيان مباشرة لكن الكيان ما اتحركش غير لما مرهوب قرب منه خطوة واحدة رفع إيده ببطء وكأن الزمن نفسه بقى تقيل فجأة جسم مرهوب اتجمد في نص الهوا! وبعدين اندفع للخلف بقوة مرعبة خبط في الأرض وخد معاه طبقة كاملة من التراب، صرخة مكتومة خرجت منه وهو بيحاول يقوم لكن جسده كان بيرتعش كأنه اتكسر من جوه!

شدام زأر بصوت مليان غضب ودا نادرا لما بيحصل، واتحول لإعصار أسود لف حوالين الكيان بسرعة رهيبة، التراب اترفع عن الأرض والهواء بقى زي سكاكين بتقطع في كل اتجاه لكن الكيان غمض عينه لحظة واحدة بس، ولما فتحهم تاني الإعصار كله اتفكك كأنه ماكانش موجود شدام اترمى بعيد ووقع على الأرض وساب وراه حفرة عميقة وسكون تقيل!

حسيت إن الأرض بدأت تميل تحتي، لأول مرة الإحساس بالعجز لمس قلبي لكن ماكانش فيه وقت للتردد، الكيان بدأ يتحرك ناحيتي خطوة ورا خطوة. وكل خطوة كانت بتخلي الواقع نفسه يتكسر حواليا، وقال بصوت بارد دلوقتي هتعرف حجمك الحقيقي..

رفعت إيدي بسرعة وبدأت اتمتم بكلمات الطقوس الخاصة بجرموق، أول حضور للجن المنضم ليك جديد لازم يكون بطقس معين، صوتي كان بيترعش في الأول لكن بدأ يقوى تدريجيا الرموز اللي تحت رجليا بدأت تلمع والتراب اتجمع حواليا كأنه درع بيحميني، الطاقة

اتصاعدت حواليا في شكل دوامات خفيفة لكن فجأة الكيان رفع إيده بإشارة صغيرة جدا وقطع كل حاجة..

الصوت اختفى، الضوء انطفى، وكل القوة اللي كانت بتتجمع انهارت في لحظة انفجار خافت رماني على ضهري وخلاني اتنفس بصعوبة وأنا حاسس بطعم الدم في بقي..

الكيان قرب أكتر رفع إيده ببطء وكأن اللحظة دي كانت النهاية الحتمية وقال بصوت هادي مفيش حد هينفذك من الحكم اللي أنا أصدرته عليك، نقلت عيني بين الكيان وبين حمدي اللي رجع قعد واداني ضهره كإن اللي بيحصل دا مش هامه، وكإنه كمان متأكد من قوة الكيان اللي معاه..

وقبل ما ينزل إيده سمع صوت واطي جدا، صوت مش عالي لكن تقيل، كأنه جاي من زمن تاني صوت مش محتاج يصرخ عشان يتسمع..

كفاية..

الهواء نفسه سكت..

الكيان وقف مكانه وبص ببطء وراه...

جرموق كان واقف وراه بعيد شوية لكن حضوره كان مالي المكان، ملامحه هادية بشكل غريب، مش مرعب زي الباقيين، لكن عيونه كانت ثابتة فيها برود يخوف أكتر من أي غضب، قال بصوت ثابت أنت طول عمرك بتتهرب من المواجهة المباشرة يا زولغار تختار الضعيف وتستخبى في الظل؟

زولغار لف له بالكامل، أول مرة يظهر اهتمام حقيقي، وقال وأخيرا ظهر حد يستحق!

في لحظة واحدة الأرض تحت رجليه اتشققت بصمت، وطلعت منها سلاسل سوداء ضخمة، مسكت أطرافه بسرعة مرعبة، زولغار زأر وبدأ يحاول يتحرر، طاقته انفجرت حواليه والجو كله اتشوه، لكن جرموق رفع إيده بهدوء، والسلاسل شدت أكتر وصوته خرج لأول مرة فيه غضب مكتوم، وقال الحكم اتأجل كتير لكن ما بيتنسيش..

السلاسل بدأت تتكسر واحدة واحدة، قوة زولغار كانت بترجع بشكل مخيف، فجأة كل حاجه حوالينا اتغيرت واتحولت لساحة ضخمة من القتال والمعارك، الكيانين انطلقوا ناحية بعض واختفوا، وبدأت تظهر ومضات غريبة في السما، هنا وهناك، زئير، غضب، صراخ

مكتوم، أصوات اصطدام وحاجات بتتكسر وفي الأخير ظهر جرموق وهو حاطط إيده على صدر زولغار..

لحظة صمت..

كل حاجة وقفت حتى الرياح..

كنت ببص ومش قادر اتحرك أو اتكلم

جرموق قرب وشه من زولغار وهمس في ودنه، التنفيذ انتهى..

وفجأة

جسم زولغار بدأ يتشقق من الداخل خطوط سوداء انتشرت فيه كأنه بيتكسر من جوه، عينيه اتوسعت بشكل مرعب، وصوته اتقطع لنصين قبل ما يطلع، جسمه كله انهار، واتحول لغبار أسود اتفجر في الهوا واختفى تدريجياً كأنه ماكانش موجود من الأساس!

الجو رجع لأوضة حمدي..

الهواء رجع يتحرك..

الصمت بقى أخف..

شدام بدأ يتحرك بصعوبة، ومرهوب زحف ناحيتي، كان لسه على الأرض بيحاول يستوعب اللي حصل..

رفعت عيني وبصيت لجرموق وقلت بصوت متعب، انت كنت فين كل دا؟

جرموق لأول مرة يبتسم..

إحساس تقيل فضل معلق في الجو..

إن اللي حصل دا ماكانش مجرد إنقاذ..

كان استعراض قوة..

وإن جرموق مش تابع عادي..

وإن في أسرار أعمق لسه مستخبية..

وقبل ما اسيب الأوضة، كان حمدي مصلوب على الحيطة وجسمه بيدوب زي الشمع والجزء اللي بينزل منه على الأرض بيختفي..

النار الصغيرة اللي كانت قدامنا كانت بترقص ببطء وسط بحر الرمل، والليل حوالينا واسع بشكل يخوف..

صحرا ساكتة لدرجة إنك تسمع حبيبات الرمل وهي بتتحرك مع الهوا الخفيف...

مرهوب كان مختفي من بعد المغرب كعادته، وشدام واقف بعيد فوق صخرة عالية، ضهره لينا وعينيه مرفوعة للسما، كأنه بيعد النجوم أو بيراقب حاجة إحنا مش شايفينها...

أما جرموق فكان قاعد قصادي لأول مرة من غير سخريته المعتادة، من غير النظرة المستفزة اللي دايما تسبق كلامه، وكان ماسك حجر صغير بين صوابعه يقلبه ببطء وهو باصص لجوه النار بشرود غريب كإنه سرحان في بحر من الذكريات..

فضل ساكت فترة طويلة لدرجة إني افتكرت إنه مش هيتكلم، لكن فجأة قال بصوت واطي وهادي كأن الكلام خارج منه بالعافية
عمرك شفت جني يحب إنسية، مش بتكلم عن العشق والمس والكلام دا، بتكلم عن الحب العادي الطبيعي؟

بصيتله وأنا برشف الشاي وابتسمت نص ابتسامة
الحب عندكم موجود أصلا؟

جرموق ما ابتسمش، ولا حتى رفع عينه، بالعكس وشه بقى أهدى وأبرد، وقال أغبى المخلوقات هما اللي بيحبوا..

سكت بعدها، والسكوت اللي جه بعد الجملة دي كان تقيل بشكل غريب، كأن النار نفسها سكتت عشان تسمع هو هيقول إيه، بعدها رفع عينه ناحيتي ببطء وقال
المنفذ اللي كان قبلك أخدني مرة لقرية صغيرة جنب الجبل الأسود قرية فقيرة البيوت فيها من الطين، والسقوف كلها خشب قديم، والليل هناك كان أغمق من أي ليل شوفته في الصحرا، أهل القرية وقتها كانوا مرعوبين من بيت في آخر الزرع على أطراف القرية، بيت أرملة اسمها زينب، وكل الناس كانت تقول إنها ساحرة وإن الشياطين تخدمها..

جرموق ابتسم ابتسامة باهتة وهو يهز رأسه وكمل وقال
لكن الحقيقة؟ كانت أطيب من أغلب البشر اللي شفتهم!

بدأ يحكي وهو باصص للنار، وصوته كان هادي بطريقة تخليك تشوف اللي بيقوله قدامك

قال إنهم وصلوا القرية قبل الفجر بشوية، وكانت الضباب نازل على الأرض الزراعية بشكل كثيف، لدرجة إن البيوت كانت طالعة من الضلمة كأنها أشباح، وكل ما كانوا يقربوا من بيت زينب، كان الهدوء يزيد بشكل مش طبيعي! لا صوت كلاب، لا ديكة، لا حتى حشرات! الهوا نفسه كان واقف! وقتها المنفذ القديم وقف فجأة وسط الطريق، ورفع عينه للبيت وقال بهدوء
فيه حارس..

جرموق قال إنه في اللحظة دي حس بحاجة لأول مرة من سنين طويلة، خوف صغير بارد دخل في صدره من غير سبب واضح، لأن المنطقة كلها كان فيها أثر جنّي قديم وثقيل جدا، أثر مش بتاع مخلوق متوحش، لا دا أثر مخلوق صاحي ومراقبهم من أول ما دخلوا البلد!

وصلوا البيت، وكان بيت صغير جدا، حيطانه متشققة، وفيه لمبة جاز ضعيفة بتنور الصالة بلون أصفر باهت، ومن جوه كانوا سامعين صوت العجين وهو بيتفرد على صاج سخن، لما دخلوا لقوا الست قاعدة لوحدها قدام النار، ست كبيرة شوية، وشها مرهق وإيديها كلها آثار حروق وشغل سنين طويلة، لكنها كانت هادية بشكل غريب، كأنها مستنياهم..

زينب رفعت عينها عليهم للحظة واحدة، وبعدين بصت ناحية باب الأوضة اللي وراهم وقالت بهدوء، قوله ميأذيش الضيوف..

في اللحظة دي جرموق قال إنه حس الرمل تحت رجليه برد فجأة، لأن الست مستحيل تشوفهم لكنها ما كانتش بتكلمهم هما أصلا، كانت بتكلم الحارس!

المنفذ القديم فضل ثابت مكانه، لكن جرموق قال إنه سمع صوت حركة خفيفة جدا ورا الباب، حركة حد واقف وساحب هدومه على الأرض ببطء، بعدها كباية نحاس كانت فوق الرف اتحركت لوحدها واتحطت قدام زينب، والباب الخشبي اللي كان مفتوح نص فتحة اتقفل بهدوء كأن حد سنده بإيده من الناحية التانية..

المنفذ القديم قعد يوم كامل في البيت من غير ما يعمل حاجة، بس يراقب، وزينب كانت تتعامل طبيعي جدًا، تطبخ، تنظف، تسقي الزرع اللي ورا البيت، وكل شوية تتكلم مع حد مش موجود

متخرجش دلوقتي..

سيب الراجل يا ولدي..

حرام عليك خوفت البهيمة..

وفي كل مرة كانت تحصل حاجة صغيرة تثبت إن فيه حد فعلا موجود، نار الفرن تعلى فجأة من غير سبب، شباك يتفتح لوحده قبل المطر بثواني، حتى القطط كانت ترفض تدخل البيت وتفضل تبص ناحية ركن معين وهي نافشة شعرها..

وفي الليلة التالتة ظهر...

جرموق وقتها كان نايم في أوضة ضلمة جنب الصالة، وفجأة صحى قبل الفجر على إحساس غريب، إحساس إن فيه حد واقف فوق راسه، فتح عينه ببطء ولأول مرة في عمره حس إنه مش قادر يتحرك بسرعة

كان فيه راجل واقف عند باب الأوضة!

طويل بشكل غير طبيعي، لابس جلابية صحراوية قديمة متغطية بالرمل والتراب، ودراعه مرفوعة على الباب كأنه مانع حاجة تدخل، وشه ما كانش واضح بالكامل بسبب الضلمة، لكن عينيه، عينيه كانوا ثابتين على جرموق بنظرة هادية مرعبة، نظرة مخلوق عاش سنين طويلة جدا لوحده..

لا أنياب..
لا نار..
لا شكل شيطاني..

بس وجوده نفسه كان تقيل وبيخنق المكان

جرموق قال بصوت منخفض، كانت أول مرة أخاف من حاجه ساكته!

المنفذ القديم خرج من أوضته وقتها، وبمجرد ما شاف الجني وقف مكانه باحترام غريب، لأنه عرف فورا إن دا مش جن عادي، دا واحد من جن الصحراء القدام، الجن اللي بيعيشوا وحيدين في الوديان والمقابر المهجورة عشرات السنين لحد ما ينسوا حتى أسماءهم..

فضلوا يبصوا لبعض فترة طويلة من غير كلمة واحدة، وبعدها الجني بص ناحية زينب اللي كانت نايمة جوه، ورجع بعينه للمنفذ القديم كأنه بيقوله دي تبعي..

وقتها فقط فهموا الحقيقة..

زمان، ابن زينب الصغير ضاع في الصحراء وقت عاصفة، والناس دورت عليه يومين كاملين من غير فايدة، الطفل مات عطشان تحت الجبل، والجني دا كان أول مخلوق يلاقيه، قعد معاه لحد آخر نفس، يسمعه وهو بيعيط وينادي على أمه، ولما الطفل مات فضل الجني أيام جنب جثته من غير ما يمشي..

ومن وقتها اتعلق بالأم، مش حب زي البشر، ولا خدمة، ولا سحر ولا حتى أي حاجه، كان حب أهدى وأحزن من الحب نفسه..

بقى يحرس البيت، ويطرد أي أذى يقرب منها، في البداية كان يخوف الناس بس، لكن مع السنين بقى أعنف، لأن الوحدة الطويلة خلت طبيعته تتوحش، أي حد يدخل البيت بنية سيئة يتكسر، يمرض، أو يختفي يومين ويرجع مجنون!

جرموق قال إن قوانين الجن وقتها كانت واضحة جدا
أي جني يؤذي البشر يعدم..

وكان لازم المنفذ القديم ينفذ الحكم، لكن الغريب إنه معملش أي حاجه، فضل واقف قدام الجني فترة طويلة وبعدين قال بهدوء، أنت عارف إنهم هيطلبوا راسك؟

الجني ما ردش، فقط بص ناحية أوضة زينب

ساعتها المنفذ القديم تنهد وقال جملة عمر جرموق ما نسيها

أحيانا بعض الوحوش متستحقش القتل، فقط بتحتاج إنها متفقدش الشيء الأخير اللي بيربطها بالرحمة..

وبعدها لف ضهره ومشي..

جرموق قال إنه قبل ما يخرج من البيت بص وراه للحظة، وشاف زينب واقفة عند باب المطبخ، باصة ناحية الركن المظلم اللي واقف فيه الجني، وبتقول بصوت هادي كأنها بتكلم ابنها، متخافش هما مجوش يأذوك..

ولأول مرة الجن ابتسم..

أنا كنت فاكر إني شفت حاجات كتير تخلي قلبي ميبقاش يعرف الخوف، شفت وديان محدش من البشر يعرف إنها موجودة، وشفت مخلوقات لو حكيت عنها لحد هيقول إني مجنون، لكن اللي حصل الليلة دي كان مختلف، مختلف لدرجة إني لحد النهاردة كل ما أفتكره بحس إنه كان عبارة عن حلم وصحيت منه لإنه مستحيل يحصل في عالم الواقع!

كنت في نص الصحراء الغربية، على بعد ساعات طويلة من أقرب طريق مرصوف، جاي في مهمة جيولوجية عادية بالنسبة لأي حد يشوفني من بره، مجرد مهندس بيدور على تكوينات صخرية جديدة ويجمع عينات من الأرض، وساعتها جه في بالي سؤال مهم جدا، ليه ميكونش الجن هو اللي خلّاني بقيت مهندس جيولوجي ومعظم وقتي في الصحرا عشان يتواصل معايا في أي وقت واروح أي مهمة بدون ما حد يكتشف غيابي، معقول يكون الجن هو اللي سببلي الأسباب من حيث الدراسة والامتحانات والرغبات وأنا كنت بختار الطريق اللي بيرسموه لي؟

نفضت الأفكار دي عن دماغي وبدأت أسرح في الليل اللي كان هادي بشكل قوي كالعادة، وفي وسط تأملاتي خدتني سنة من النوم وصحيت فجأة ودي كانت علامة من علامات إن فيه حاجه هتحصل معاي..

أنا متعود أصحى على صوت ريح، على حركة حد من العمال، على صوت عربية بعيدة، إنما أصحى كده مرة واحدة وأفتح عيني كأن حد ناداني من جوه عقلي، فدي كانت حاجة تانية!

خرجت من الخيمة وأنا حاسس إن في حاجة مستنياني بره ولما رفعت عيني شفت شدام

كان واقف فوق كثيب من الرمل، واقف مستقيم وإيده ورا ضهره وباصص لفوق، ودي كانت أول مرة أشوف شدام واقف الوقفة دي، مكلمنيش ولا بص ناحيتي، قربت منه وأنا حاسس معدتي مقبوضة وقبل ما اوصل حسيت باختراق الريح ورايا، لفيت لقيت مرهوب وجرموق جمب بعض ودي كانت أغرب من وقفة شدام، أنا لو شوفت جبل بيتحرك من مكانه مش هتعجب زي ما اتعجبت من وقوف الاتنين دول جمب بعض، دول مش بيطيقوا بعض!

الثلاثة مجتمعين في وقت واحد ومن غير ما اطلب!

ساعتها عرفت إن فيه موضوع أو حدث كبير على وشك الحدوث، قربت من شدام وسألته فيه إيه؟ ولأول مرة من سنين طويلة شوفته متوتر! ودي لوحدها كانت مصيبة لإنه أهدى وأعقل من الاتنين التانية ومني أنا كمان..

سألته بنبرة داريت فيه قلقي المرسوم على وشي وقولتله فيه إيه؟ بدون ما يبص علي قالي معمولك استدعاء، سكت لحظات وكمّل وقال معمول استدعاء لكل المنفذين.

كل المنفذين!!

عقلي ماستوعبش الجملة الأخيرة، أنا بس المنفذ، أنا بس اللي معايا الأسرار اللي محدش يعرفها، أنا بس اللي اختاروني دونا عن كل الناس بعد ما المنفذ اللي قبلي ما مات، بصيتله وضيقت عيني، وبدأت أشك في كل حاجه حواليا حتى التلاته اللي المفروض بيخدموني، لو كان فيه منفذين غيري محدش من التلاته لمحّ لي أو قال حتى بالصدفة، هل دي أوامر واخدينها من حد أعلى مني، هل ولاءهم الكامل مش لي؟ بدأ كره ينمو جوايا ناحيتهم وأنا أكتر حاجه توجعني لما أحس إني مخدوع، لكن قررت أكمل معاهم لحد ما افهم، كملت كلامي وسألته استدعاء إيه؟

المرة دي بصلي وعينه في شيء من الاحترام والخوف الممزوجين بالهيبة وقال اجتماع التلاته وتلاتين سنة..

أول ما قالها حسيت إن مرهوب خفض رأسه، وجرموق بالمثل، ذاكرتي فكرتني بحاجه قريتها عن الاجتماع دا قبل كدا، ومعظم المنفذين بيموتوا قبل ما يحضروه لإنه بيكون على فترات بعيدة جدا، وبالتالي مكنتش متخيل إني هحضره!

الاجتماع بيتعمل مرة كل ثلاثة وثلاثين سنة، عشان ده الزمن اللي بتحتاجه العهود القديمة بين قبائل الجن عشان تتجدد، وفي وسط حيرتي شدام قال كإنه بيشرح لتلميذ حاجه جديدة المفروض يعرفها بعد ما وصل لمرحلة عمرية معينة، في الليلة دي بيتجمع منفذو الأرض كلهم...

منفذ مصر..

منفذ العراق..

منفذ المغرب..

منفذ اليمن..

منفذ روسيا..

منفذ الصين..

منفذ اليونان..

.

ومنفذين تانيين محدش يعرف عنهم حاجة، رجالة وستات، بشر طبعا لكن مش بشر عاديين، كل واحد فيهم شاف من الرعب ما يكفي لهدم عقل مدينة كاملة، قاطعت شدام وقولتله الاستدعاء وصل إزاي؟ وبقول في نفسي الورقة بتجيلي أنا وبقراها وبعدها بتختفي، هل المرة دي حاجه مختلفة، ورديت على نفسي وأنا بقول أكيد حاجه مختلفة لإني مش هفهمها والتبليغ بيكون عن طريق الجن اللي معايا!

شدام ابتسم ابتسامة صغيرة وقال الاستدعاء وصل بالفعل، أنا استغربت وقبل ما اكمل كلام راح كد إيده ناحية الرمل اللي تحت رجلي، بصيت وهنا حسيت الدم برد في عروقي، الرمل كان بيتحرك لوحده، حبة حبة، كأن آلاف الحشرات ماشيه تحتي، وبعدين بدأ يرسم دوائر ودايرة تتكون جوه الدايرة الأكبر منها ورموز بتتشكل ورغم كدا كنت فاهم معناها لإني اتعلمت اللغة والطريقة دي قبل كدا، وبعد لحظات الرموز اكتملت وشكلت اسم واحد بس، اسمي!

فضلت أبص لاسمي المكتوب بالنار وسط الرمل وأنا مش قادر أنطق، مش عشان عمري ما شوفت سحر قبل كدا، بالعكس أنا شوفت حاجات تخلي إي إنسان يفقد عقله، لكن الاستدعاء دا معناه إن حاجه كبيرة جدا بتحصل، حاجة خلّت كل القبائل على الأرض تستدعي المنفذين في وقت واحد!

رفعت عيني لشدام وسألته امتى؟

رد من غير تردد، بكرة بعد غروب الشمس..

اتجمدت مكاني، كنت متوقع يقولي بعد أيام أو أسبوع أو شهر، مش عارف ليه فجأة حسيت بإحساس إني تلميذ فعلا والمفروض ألحق أراجع دروسي وواجباتي اللي هما طقوسي وتعوايذي، لكن بكرة!

الليلة دي محدش فينا نام، التلاته اللي معايا اللي المفروض استمد منهم قوتي كانوا شاردين زيي، زي ما يكونوا هيبقوا مسؤولين عن أي شيء يحصل للمنفذ أو أي شيء يعمله المنفذ، زي ما يكون هينولهم جزء من اللوم والعتاب مثلا، بس أنا ليه واخد الموضوع كإنه امتحان ولجنة مراقبة كإني رايح مدرسة!

كنت قاعد قدام الخيمة وشدام علي يميني ومرهوب على شمال، أما جرموق كان واقف بعيد فوق تل رملي ضخم زي تمثال أسود بيبص على اللاشيء، الساعات كانت تمشي ببطء غريب وكل ما الوقت يقرب كنت حاسس إن التلاتة بقوا أكتر توترا، ودا كان شيء نادر خصوصا جرموق، هو تحديدا كنت بحس إنه أقوى من إنه يقلق، الجن اللي خدم المنفذ المصري اللي قبلي، ماهو لازم اقول مصري مينفعش أقول منفذ بشكل عام عشان طلع فيه كتير غيري من بلاد مختلفة، الجن اللي خدم المنفذ المصري اللي قبلي واللي اكتفى بيه بدون أي مساعدات تانية، كان هو كمان ساكت زيادة عن اللزوم، مع إني كنت هلاقي فيه الأمل الوحيد لاعتقادي إنه حضر الاجتماع دا قبل كدا..

مع أول لحظة غروب في اليوم التالي حصل شيء غريب، الشمس كانت بتنزل عادي وتختفي في الأفق لكنها فجأة وقفت!

وثقت وبقى نصها ظاهر في الأفق والنص التاني مختفي، التلاته وقفوا حواليا في استعداد للانتقال اللي طبعا حسيت إنه قرّب جدا، العالم كله سكن للحظة، فجأة بعدها الأرض اتهزت تحتي، مكانش زلزال، كان شيء أعمق وبعدها ظهر شرخ طويل في الأرض، طوله عشرات المترات ومن الشرخ دا بدأ يطلع نور أزرق باهت، بارد، يخليك تحس إنك واقف قصاد قبر مفتوح، بصيت جوه ملقتش قاع، ملقتش نهاية، بس درجات حجرية نازلة لمسافة مستحيل العين تشوف آخرها

شدام اتحرك أول واحد، ومرهوب وراه، وجرموق كان الأخير، تقريبا التلاتة رتبوا نفسهم حسب الترتيب الزمني لوجودهم معاي، أنا نزلت وسطهم بعد شدام مباشرة، كل ما ننزل كنت حاسس إن الهوا بيتغير والأصوات بتختفي وبيستبدلها السكون، سمعت كتير عن ناس نزلوا تحت الأرض وحكوا عجائب وغرائب، دلوقتي أنا هبقى واحد منهم..

كنا بننزل وأنا حاسس إن العالم اللي بره بيبعد، كنت بنتقل بين عالمين كإني خارج من كوكب الأرض ورايح كوكب تاني، لحد ما وصلت لحاجه شبه مدينة كاملة تحت الأرض، مدينة ضخمة منحوته بصخر أسود، أعمدتها عالية في طول الجبال، وتماثيل لمخلوقات مش بشر ومش جن، مزيج بين الاتنين، وفي المنتصف كان فيه مبنى واحد أكبر من كل شيء، قصر دائري ضخم، ملوش لا شبابيك ولا أبواب، فقط فتحة واحدة عملاقة وقفنا قدامها، التلاتة اللي معايا كان واضح عليهم إنهم زيي بالظبط، كنت بلحظ الواحد فيهم بيمد عينه لشيء عالي مثلا، أو لتمثال معين، كنا احنا الأربعة زي الأطفال اللي بيزوروا مكان لأول مرة، مع إن التشبيه دا غلط أقوله على نفسي وعلى اللي معايا، بس دا أقرب وصف عشان اقربلكوا شكلنا كان إيه وتصرفاتنا كانت إزاي..

كنت سامع أصوات جايه من بعيد، صوتهم كان واضح وسط السكون اللي احنا فيه، ولأول مرة في حياتي اشوف منفذ تاني زيي، كان راجل طويل جدا، بشرته سمرا ولابس جلباب أبيض واسع وحواليه أربعة من الجن، كل واحد فيهم أطول من التاني، أشكالهم بتطول وتقصر وتتمدد لدرجة إني معرفتش مين فيهم الطويل من القصير، كنت أول مرة اشوف جن بالهيئة دي!

مرهوب همس لي، دا منفذ العراق، المنفذ اتحرك ووقف هو ومجموعته جمبي أنا ومجموعتي بدون ما يتكلم، وقبل ما افصحه هو واللي معاه بشكل واضح راح ظهر راجل ضخم بلحية بيضا طويلة وخلفه جن واحد بس، الجن دا كان كفاية يخوف مدينة كاملة لدرجة إن جرموق نفسه لف وشه بعيد عنه أول ما شافه، هرشت في راسي وقولت للي معايا بصوت واطي ولا يهمكوا يا رجاله احنا أحسن من كل دول، احنا اللي وصلنا الأول..

محدش ضحك..

مرهوب همس بنفس نبرة المرة الأولى وقالي دا منفذ روسيا..

وبعدين بدؤوا يظهروا المنفذين واحد ورا التاني، محبتش اعرف حاجه تاني عنهم، بس جالي إحساس إني أقل واحد فيهم، كنت حاسس إني مجرد مبتدئ، تلميذ فعلا، لإن بعض الوجوه اللي كانت واقفه هناك كان واضح إنها عاشت رعب أكبر بكتير من أي حاجه عدت علي، لدرجة إن أي حد فيكم لو شاف منفذ منهم هيفتكره مجنون من المجانين اللي بيعيشوا في الشوارع، على الأرصفة وتحت الكباري، كان فيه منهم شاب صغير، أصغر مني في السن، وفيه راجل عجوز، وفيه الأربعيني، والخمسيني، وفجأة وأنا باصص قدامي وعقلي بيفكر في

المنفذين وقصصهم، ازاي اختاروهم، إيه المغامرات اللي عاشوها، هل ينفع اتعرف على حد منهم، أو هل في المستقبل هخوض مغامرة مشتركة مع واحد فيهم، هل ممكن الاجتماع دا يكون اختبار قوة عشان يعرفوا مين من المنفذين شايف شغله مظبوط مثلا ومين متهاون وكسول و.. إيه اللي أنا بقوله دا؟؟؟

الباب الحجري العملاق بدأ يتحرك، صوت احتكاك الصخور هز المدينة كلها، وكل الجن الموجودين، كلهم بلا استثناء انحنوا، شدام، مرهوب، جرموق، وحتى الجن المرعبين اللي جابين مع المنفذين التانيين، كلهم نزلوا رؤوسهم في نفس اللحظة، وساعتها عرفت إن اللي جوه القاعة رؤساء قبائل وكيانات برتب مسمعتش عنها قبل كدا..

بمجرد ما الباب اتفتح كل الجن انحنوا، شدام منحني بخضوع، مرهوب بالمثل، حتى جرموق اللي فاكر نفسه أقوى من نص الجن كان واقف مطأطأ راسه في صمت، وباقي الجن اللي مع المنفذين كانوا بالمثل، الكل مطأطأ راسه، بصيت بطرف عيني على المنفذين لقيت كل واحد فيهم واقف وباصص قدامه بنظره جامدة كإنه متعود يحضر الاجتماع دا كل يوم، مع إني متأكد من جوايا إن معظمهم بيحضروا لأول مرة، وكل واحد فيهم جواه عشرات الأسئلة، يمكن أسئلة أكتر من اللي جوايا، لكني بصراحة كنت بحسدهم على الثبات الانفعالي اللي كانوا فيه!

خلال اللحظات دي كان الباب اتفتح على مصراعيه، وظهر من خلفه ممر طويل ملوش آخر، وواسع لدرجة إن قافلة كاملة تقدر تمشي فيه جمب بعض، وعلى جانبي الممر وقف مجموعة من الجن في هيئة حرّاس، كان المطلوب مني بدون ما حد يقولي إننا نتحرك وندخل، وبالفعل اتحركنا كلنا حركة آلية ودخلنا، حاولت أسيطر على الثبات الانفعالي بتاعي وابقى زي باقي المنفذين لكن فضولي غلبني وبقيت أخطف نظرة من هنا ومن هنا، وأكتر شيء لفت نظري كانوا الحراس اللي واقفين في صفّين، طول الواحد منهم كان بين السبع والعشر أمتار، مكانوش كلهم في هيئة واحدة ولبس واحد كما هي العادة لا، واحد فيهم مثلا كان جسمه كله عبارة عن حجر أسود وفيه شقوق حمرا في جسمه كإنها حمم بركانية ماشيه جواه، واحد تاني مكانش له وش أصلا، مكان الوش كان عبارة عن فراغ أسود! واحد تالت كانت هيئته رمليه، كتلة من الرمل واقفة ومتشكله في هيئة جن، وفي وسط اللمحات الخاطفة اللي دي أخيرا شوفت واحد منهم بيعمل زيي، الشاب اللي أصغر مني في السن، كان واضح عليه هو كمان مقدرش يكبح جماح فضوله ولما شافني ببص على اللي حوالينا زي ما بيعمل وعيني جات في عينه للحظة رفع حواجبه الاتنين وراسه مع بعض في إيماءة صغيرة كنوع من التحية، وأنا تلقائي رديتهاله بالمثل وكملنا مشي..

في نهاية الممر كان فيه بوابة مفتوحة بدون أبواب، لكن بمجرد الاقتراب منها حسيت بطاقة محستش بيها قبل كدا، فيه أماكن بتحس فيها بالراحة وانت داخلها، دا عشان فيها طاقة أو هالة من النور، وأماكن تانية العكس، بتكون فيها طاقة مظلمة عشان كدا بتحس إنك مضايق أو مش مرتاح بمجرد ما تدخلها أو تعدي جمبها. أما الطاقة اللي استشعرتها واحنا على بعد خطوات من البوابة دي كانت طاقة معرفتش احددها، كانت مزيج من النور والظلام، الطمأنينة والخوف، كانت عبارة عن كل شيء وعكسه!

القاعة كانت أكبر من أي قصر أو معبد أو مبنى دخلته في حياتي، السقف نفسه كان بعيد جدا لدرجة إني مقدرتش أشوفه، وكان فيه أعمدة ضخمة طالعة لفوق كأنها جبال كاملة، وعلى كل عمود كانت فيه نقوش لوجوه غريبة، بعضها شبه البشر، وبعضها شبه الجن، وبعضها مكنتش قادر أحدد هويته..

وفي نص القاعة كان فيه سبع مقاعد من الحجر الأسود الداكن مرتبين على شكل دائرة ضخمة،

وبدأ كل منفذ يقعد في مكانه، وكل واحد وراه الجن التابعين ليه واقفين في صفوف، ودي كانت أول مرة أفهم حجم الفروق بين المنفذين فعلا، لأن فيه ناس جاية معاها اتنين أو تلاتة من الجن زيي، وفيه ناس جاية معاها ستة وسبعة، وفيه اللي واقف وراه جني واحد بس!

فجأة اكتشفت إن كانت فيه رموز محفورة على الأرض بدأت تنور بالتدريج، رمز ورا التاني، كوّنوا دايرة كبيرة في نص القاعة وخرجت منها إضاءة بيضا قوية، وبعدين سمعنا صوت عصاية بتخبط بشكل رتيب، كل العيون اتجهت ناحية الصوت اللي كسر الصمت المقدس للقاعة، ومن آخر القاعة من العدم ظهر شيخ عجوز ماشي ببطء شديد، لابس عباية رمادية قديمة جدا وعلى كتفه شال أسود وماسك عصاية طويلة من خشب أسود لامع مزينة برموز ونقوش مفهمتش منهم أي حاجه..

فضل ماشي ببطء لحد ما وصل لنص القاعة، وبنظرة خبير بص علينا احنا المنفذين السبعة، على الرغم من إن النظرة لينا كلنا مستمرتش أكتر من ثانية إلا أني متأكد إن عينه جات في عيني لمدة ثواني عرف منها كل اللي بيدور جوايا، مش عارف إذا كان بيتحكم في الزمن ولا الرهبة هي اللي صورتلي كدا!

اتكلم بصوت هادي وقوي في نفس الوقت وقال "تلاتة وتلاتين سنة عدوا" سكت لحظة وكمل "تلاتة وتلاتين سنة من آخر اجتماع للمنفذين"

بص ناحية منفذ روسيا، ثم العراق، ثم بص ناحيتي وأنا مش عارف ليه كل ما عينه تيجي في عيني أحس إنه بياخد مني شيء أو بيزرع فيا شيء، لف علينا كلنا بنظرة ثابتة وكمل كلامه "وخلال السنين دي اتغيرت قبائل، وسقطت قبائل، اختفت أسماء، واتكتبت أسماء جديدة"

بعدها ضرب الأرض بالعصا وفجأة ظهر فوق كل منفذ رمز من نور أبيض، كمل كلامه وقال "كل اجتماع بيكون مختلف عن اللي قبله، كل اجتماع فكرته جديدة، القبائل بتجتمع وتحدد ماهيته بالاتفاق، ولأن القبائل متغيرة فبطبيعة الحال فكرة الاجتماع بتكون متغيرة ومتجددة"

بدون ما ابص على وجوه المنفذين اللي حواليا كنت متأكد إن الفضول بدأ ينهش فيهم زيي بالظبط، ولأول مرة لمحت البعض منهم اللي كانوا راسمين الجمود على وجوههم بدؤوا يبصوا لبعض من تحت لتحت على استحياء، العجوز زي ما يكون استمتع باللي بيحصل، فابتسم ابتسامة خفيفة وقال "الليلة ليلة سيد التابعين"

في اللحظة دي ظهرت همهمة في القاعة، واحد من الجن اللي ورا منفذ المغرب بص لصاحبه بصدمة..

منفذ اليمن اعتدل في جلسته..

مرهوب حسيت بيه ورايا بيبتسم ابتسامة كبيرة، شدام هادي بطبعه محصلش منه أي ردة فعل، جرموق ثابت ومتابع اللي بيحصل باهتمام..

العجوز اتنحنح وكمل كلامه "عشان اكون صادق معاكم، المسابقة دي تمت قبل كدا من تسعة وتسعين سنة، معظم القبائل بيختاروها من وقت للتاني لو مفيش أحداث واضطرابات يمكن مناقشتها في الاجتماع، ومن وقتها مظهرش تابع استحق اللقب دا"

في اللحظة دي مرهوب وجرموق حسيت بيهم اتقدموا خطوة اتجاهي، اتقدموا في نفس الثانية بالظبط، مفهمتش قصدهم إيه من القرب دا، العجوز رفع إيده فظهرت سبع رايات ضخمة من نور أزرق حوالين القاعة، كل راية عليها اسم أحد المنفذين وقال " كل منفذ يختار تابع واحد فقط، واحد بس يحمل اسمه، بعدها بص ناحيتنا وقال، أي تابع هيشارك هيمثل سيده قدام المجلس كله، انتصاره انتصار لسيده، وهزيمته هزيمة لسيده"

"ممنوع تدخل أي منفذ، ممنوع المساعدة من الخارج، ممنوع تدخل أي جني غير المشاركين، واللي يخالف يستبعد فورا" واحد من المنفذين سأله "النزال ينتهي امتى؟ "

العجوز أجاب "إذا استسلم أحد المقاتلين، أو فقد القدرة على القتال، أو خرج من حدود الساحة"

بعدها سكت لحظات وقال "أما الموت فغير مسموح"

الجن العجوز قال بصوت واضح حازم، معاكم دقيقة لكل واحد فيكم يختار فيها التابع اللي هيحمل اسمه، الهمهمة زادت في القاعة وكل واحد بدأ يقارن الجن اللي معاه ببعض ويكلمهم وياخد رأيهم، وأنا كمان كنت براجع كل حاجه جوه عقلي، كنت محتار بين مرهوب وجرموق، الاتنين اتقدموا خطوة ناحيتي يعبروا بيها عن جاهزيتهم، كنت بفكر وشايف الجن اللي بيختاره كل منفذ وهو بيتقدم وينزل القاعة ويقف جمب العلم الخاص بيه، لحد ما جي الدور عليا والعجوز سألني هتختار مين..؟

في اللحظة دي طلعت الخاتم من جيبي واللي أخدته من الساحر اللي اتدفن حي، مكنتش ناوي استخدم الخاتم لنفسي، عشان كدا خليته معايا الفترة دي كلها، مديته ناحية شدام وعنيا في عين العجوز وقولتله اخترت شدام اللي أخد مني الخاتم ونزل السلالم ناحية الساحة ووقف تحت العلم المكتوب عليه اسمي..

فجأة المنفذ الأصغر مني واللي عرفت إنه منفذ اليونان، وقف وهو بيحتج على اللي حصل وشاور ناحيتي وقال دا غش وقبل ما يكمل كلامه راح العجوز رفع إيده وقاطعه وقال "منفذ مصر لم يخالف القانون، تقدروا تسلّحوا تابعينكم زي مانتوا عاوزين" لكن للأسف الجملة كانت متأخرة قوي لأن آخر جن تابع كان خلاص تم اختياره ونازل على السلالم عشان يقف تحت راية المنفذ بتاعه..

لحظتها بصيت عليه وعينه لسه في عيني، مستغرب من اللي عملته، وعشان استفزه أكتر رحت حييته بنفس التحية بتاعته، رفعت حواجبي وراسي مع بعض وابتسمت..

الغضب زاد على وشه، وعشان يحاول يرجع للثبات بتاعه راح باصص قدامه وتابع اللي بيحصل في الساحة..

التوابع السبعة واقفين جوه الساحة، كل واحد تحت راية المنفذ اللي بيمثله، الرايات كانت عالية جدا، بصيت للراية بتاعتي، مكتوب عليها اسمي وجمبه علم مصر، بصيت على الراية اللي بعدها لقيت عليها علم اليمن وبدون اسم، بصيت على اللي بعدها كانت راية اليونان وعليها العلم وبدون اسم، كل الرايات كانت بدون اسم ما عدا الراية بتاعتي كان عليها اسمي، ودا

تقريبا كان سر من أسرار المجلس، مفيش منفذ هيعرف أسماء باقي المنفذين، خمّنت الاستنتاج دا لأني شوفت أكتر من واحد وهما بيبصوا على الرايات زيي وكان واضح عليهم الحيرة، كل منفذ هيشوف اسمه هو وبس..

العجوز حافظ العهد اتحرك بخطوات بطيئة لحد ما وصل لمنصة حجرية في منتصف الساحة، فوق المنصة كان فيه وعاء صغير، وفي اللحظة اللي إيده دخلت فيها للوعاء فجأة الرايات بدأت تنور واحدة ورا التانية، النور بيزيد ويقل كإن الرايات مستنية تعرف مصيرها، العجوز دخل إيده أكتر جوه الوعاء وحركها حركات دائرية تمثيلية، وبعدها سحب أول حجر ورفعه قدامنا كلنا، وقال "تابع العراق" صوته دوى في القاعة كلها، وفي اللحظة دي راية العراق لمعت باللون الأخضر، العجوز مد إيده مرة تانية والكل كان مترقب الطرف اللي هيواجه العراق حتى الجن كانوا واقفين متابعين إيد العجوز اللي خرجت بعد لحظات بحجر جديد رفعه للكل وقال "تابع الصين"

العجوز كمّل القرعة بنفس الشكل..

تابع اليونان ضد تابع مصر..

تابع اليمن ضد تابع روسيا..

وبعدين قال "كدا تابع المغرب هيصعد مباشرة للمرحلة التانية"

وبدأ النزال الأول...

تابع الصين كان بيعتمد على السرعة بشكل مخيف، جسمه رشيق وبيختفي من مكان ويظهر في مكان تاني خلال لحظات، لدرجة إن صورته كانت بتسيب وراها آثار ضبابية في الهوا!

أكتر من مرة ظن الموجودين إنه وصل لخصمه وأنهى النزال، لكن تابع العراق كان بيخرج من نطاق الهجوم في آخر لحظة..

ومع مرور الوقت بدأت قوة تابع العراق الحقيقية تظهر، قوته كانت في ثباته وهدوءه..

لفيت راسي ناحية مرهوب وبصيتله بصه فهم معناها ورجعت كملت المشاهدة..

كان بيصد ضربات، وبيتفادى ضربات، ومع كل دقيقة كانت الأفضلية بتميل ناحيته، بعض الجن في المدرجات بدؤوا يلاحظوا إن تابع العراق متعمد يسيب خصمه يتحرك بحرية كإنه مستني حاجه معينة، ولما حصلت اتغير كل شي!

وفي لحظة واحدة اندفع تابع الصين بتهور بأقصى سرعته وهو بيحاول حسم النزال لكن تابع العراق كان منتظره، في الثانية اللي دخل فيها نطاقه، فجأة ظهرت تحت أقدامه عشرات الرموز المضيئة واللي بمجرد ما وقف فيها تابع الصين اتكتف تماما، تابع العراق كانت عنده الخطة وطول فترة النزال بيحيك خيوطه زي العنكبوت اللي منتظر فريسته تقع في شباكه، وقد كان..

منفذ العراق مال بجسمه للأمام وهو مبتسم ومستمتع بخطة التابع بتاعه..

وفي اللحظة اللي تابع الصين اتثبت مكانه، تابع العراق اختفى ومظهرش غير وهو موجه لكمة قوية أسفل فك تابع الصين، وبعد ثواني كان جسم تابع الصين بيتلوى يمين ويسار ومن الأعلى والأسفل واحنا مش شايفين غير ظل تابع العراق وهو بيختفي ويظهر في الهوا بعد كل لكمة..

منفذ الصين ارتبك، وبدأ يتحرك في الكرسي بتاعه كذا حركة بين الواحدة والتانية ثانية ودا دليل على الارتباك اللي هو فيه..

وآخر ضربة وجهها تابع العراق لتابع الصين كانت الرموز اللي مكتفاه اختفت، والضربه أطاحت بيه خارج حدود الساحة الحجرية، وبكدا معناها هزيمته..

العجوز رفع إيده "الفائز بالنزال الأول، منفذ العراق"

تابع الصين وقف بصعوبة ورجع مكانه، وتابع العراق اتجه ناحية الراية بخطوات ثابته بعد ما ضمن أول مقعد في المرحلة التانية من بطولة سيد التابعين..

أول ما الجن العجوز أعلن عن النزال التاني، كان الكل عارف إن المواجهة دي مختلفة، من لحظة اعتراض تابع اليونان على الخاتم، والكل بقى مستني يشوف النتيجة بنفسه.، هل الخاتم اللي أعطيته لشدام هيكون له تأثير في سير المعركة ولا هيكون مجرد أثر قديم الناس مكبرة قيمته أكتر من اللازم؟

نزل تابع اليونان إلى أرض الساحة بخطوات هادئة وواثقة، وكان واضح من طريقته إنه داخل وهو مقتنع إنه هيكسب، وقف في طرف الساحة ورفع رأسه ناحية شدام، وعلى وشه ابتسامة صغيرة فيها شيء من الاستفزاز، شدام نزل من الجهة التانية بنفس الهدوء المعتاد، لا استعجال ولا انفعال ولا حتى محاولة لإظهار القوة، كان ماشي بخطوات ثابتة لحد ما وصل لمنتصف الساحة ووقف مكانه من غير ما يعمل حركة واحدة..

الكل كان حاسس بالتوتر اللي بين الاتنين، عيون الجن والمنفذين كانت متعلقة بالساحة، حتى مرهوب كان مركز لأول مرة من بداية البطولة، وجرموق كان متابع بصمت وعينيه ثابتة على شدام من غير ما يرمش تقريبا، كان بيدرس سبب اختياري لشدام، وتفضيلي له عنه وعن مرهوب..

حافظ العهد رفع عصاه ببطء ودي إشارة عن بدء القتال..

وفي اللحظة التالية اختفى تابع اليونان من مكانه وظهر قصاد شدام مباشرة،

بعض الحاضرين حتى ما شافوش أول حركة عملها، مجرد ومضة سريعة وانفجار خفيف في الأرض اللي كان واقف عليها، وجه ضربة قوية لصدر شدام، لكن التاني اتحرك نصف خطوة بس للجانب ومال بجسمه وكأن الضربة كانت متوقعة من البداية، مرت الضربة بجواره بفارق سنتيمترات قليلة فقط، وقبل ما تابع اليونان يلحق يكمل الهجوم كان شدام لف بجسمه وضربه بكف مفتوح في مؤخرة راسه، صفعة خفيفة الغرض منها الاستهزاء وفي نفس الوقت التقليل منه قصاد الموجودين، وبالتالي اللعب على أعصابه وإغضابه..

لأول مرة اختفت الابتسامة من على وجه تابع ومنفذ اليونان في نفس الوقت، كإن الاتنين مربوطين ببعض..

وقفوا الاتنين من جديد يراقبوا بعض، ثواني قليلة مرت، لكن اللي في القاعة حسوا إنها أطول من كده بكتير، بعدها اندفع تابع اليونان مرة تانية، لكن المرة دي بقوة أكبر، بدأت هالة من الطاقة تتجمع حوالين جسمه، وتحولت الأرض تحت قدميه لشقوق طويلة زي الكهربا وراحت تظهر وتختفي، كان واضح إنه قرر يخرج جزء من قوته الحقيقية بدل ما يضيع الوقت في الاختبار..

وفي اللحظة التانية الاتنين اختفوا، وراحوا يظهروا في الجو خلال الاشتباك، يظهروا مرة هنا ومرة هناك والكل متابع باهتمام وشغف، لحد ما في لحظة ظهر شدام بعد ما اتلقى ضربة

في الجو وقبل ما يسقط في الأرض اختفى، وظهر وهو واقع على الأرض وبيقوم من جديد وتابع اليونان واقف مكانه وبيستعد لبدء نفس الهجوم مرة تاني..

منفذ اليونان وقف وهو بيبص ناحيتي ومبتسم، بعدها لف وشه ناحية النزال وقعد مكانه تاني، كان هيرفع إيده ويسقف للتابع بتاعه لكن في اللحظة الأخيرة نزلها تاني..

شدام وقف منتظر الهجوم التاني، لكن عينه مكانتش على الخصم، كانت على حاجه ماسكها في إيده، عينه كانت على الخاتم، سرح فيه للحظات وهو متناسي خصمه اللي انطلق بأقوى سرعته عشان يوجهله الضربة التانية، شدام كان واقف في الساحة كإنه لوحده ومفيش حد حواليه، لحظة صمت أخدها وهو بيتأمل الخاتم، وفي اللحظة اللي وراها لبسه بهدوء..

الجو بدأ يتغير، المشاعل اللي على جدران القاعة بدأت تهتز بشكل غريب، والنيران اللي فيها بدأت تميل ناحية شدام كإنها بتنجذب له، حتى التراب اللي على أرض الساحة بدأ يتجه ناحيته ويلف حوالين رجله، شدام رفع راسه ببطء شديد، الحركة كانت بسيطة جدا، لكن في اللحظة دي بالذات تابع اليونان حس إن فيه حاجة غلط، حاجة مش مفهومة، من أول النزال وشدام كان بيتعامل معاه بهدوء، لكن الهدوء اللي قدامه دلوقتي كان مختلف، كان هدوء واحد عارف بالضبط هو هيعمل إيه، وهيحصل إيه بعد ثانية وبعد دقيقة وبعد عشر دقايق، وبعد ما النزال يخلص..

بدأت الخطوط المحفورة على الخاتم تلمع واحدة ورا التاني، لمعان خافت جدا، شدام قبض إيده ببطء، وصوت خافت طلع من مفاصل صوابعه، وبعدها حرك كتفه ورقبته كأنه كان نايم بقاله سنين ولسه فايق دلوقتي..

الجن في المدرجات بدؤوا يبصوا لبعض بدون كلام، أما تابع اليونان فبرغم إنه حاول يحافظ على ثقته، إلا إنه اكتشف إن ابتسامته اختفت لوحدها، الكل كان فاكر إن شدام كان لابس الخاتم من أول النزال!

تابع اليونان ضغط على أسنانه وانطلق مرة تانية، المرة دي ما كانش فيه أي تردد، كل القوة اللي كان مخبيها خرجت دفعة واحدة، الأرض اتشققت تحت رجليه وهو مندفع، والهواء نفسه اتقطع حواليه من شدة السرعة، خلال لحظة واحدة كان قدام شدام مباشرة، وبعدين اختفى من قدامه وظهر على يمينه، ثم وراه، ثم فوقه، عشرات الصور المتداخلة ملأت الساحة لدرجة إن بعض الموجودين فقدوا القدرة على تحديد مكانه الحقيقي..

شدام واقف متحركش، كان هادي وكأنه مش شايف الهجوم أصلا، تابع اليونان جمع كل قوته في ضربة واحدة، كان مقتنع إن الضربة دي كفاية تنهي النزال، عضلات ذراعه انتفخت، والطاقة حوالين قبضته بقت واضحة حتى للحاضرين في آخر القاعة، ومع صرخة قصيرة نزل بكل سرعته ناحية شدام، وقبل ما إيده توصل لشدام، كان شدام رفع صباعين اتنين بس غرسهم بسرعة وقوة في صدره، وفي اللحظة التانية خرجت صرخة عالية من تابع اليونان وطار في السقف ووقع على الأرض فاقد الوعي..

العجوز أعلن انتهاء النزال، وشدام قلع الخاتم من صباعه ورماه ناحيتي، وهو بيهز راسه ببطء إنه مش هيستخدمه تاني..

بعد ما أعلن حافظ العهد فوز شدام، رجع شدام بهدوء لمكانه، بينما كانت عيون كتير في القاعة لسه متعلقة بيه وبالخاتم اللي قلب مجرى النزال السابق، لكن ما كانش فيه وقت طويل للتفكير، لأن حافظ العهد غرس عصايته في الأرض مرة تانية وهو بيعلن عن آخر مواجهة في المرحلة الأولى من بطولة سيد التابعين، في اللحظة دي اتحرك ممثل اليمن وممثل روسيا ناحية منتصف الساحة، وكل واحد فيهم وقف قدام التاني على بعد عدة أمتار فقط، والهدوء اللي نزل على المكان كان غريب لدرجة إن أي صوت بسيط كان ممكن يتسمع بوضوح..

ممثل اليمن وقف بثبات وهو مركز عينيه على خصمه، كان واضح عليه إنه مستعد لمعركة طويلة زي أغلب النزالات اللي حصلت قبل كده، لكن ممثل روسيا كان واقف بشكل مختلف، لا بيستعرض قوة، ولا بيحاول يخوف خصمه، ولا حتى متخذ وضعية قتالية واضحة. مجرد واقف ساكت، وعينيه ثابتة على خصمه، الجن والمنفذين كانوا متوقعين قوته غير الطبيعية لإنه الجن الوحيد اللي مع منفذ روسيا، والمنفذ مبيكتفيش بجن واحد إلا لسبب!

رفع حافظ العهد عصاه وأعلن بداية النزال، لكن قبل ما العصا تكمل نزولها كان ممثل روسيا اتحرك بالفعل، الأرض تحت رجليه انفجرت وتناثرت منها قطع الحجر في كل اتجاه، وخلال لحظة واحدة اختفى من مكانه تماما، ممثل اليمن اتفاجئ، لأنه كان متوقع يبدأ بقياس قوة خصمه الأول زي ما حصل في أغلب النزالات السابقة، لكن ما لحقش حتى ياخد خطوة واحدة..

فجأة ظهر ممثل روسيا قدامه مباشرة، وقبل ما يستوعب اللي حصل كانت أول ضربة وصلتله بالفعل!

صوت الاصطدام دوى في الساحة كلها، وممثل اليمن اضطر يتراجع للخلف وهو بيحاول يمتص قوة الضربة، لكنه ما أخدش فرصة يثبت نفسه، لأن ممثل روسيا كان قدامه تاني في نفس الثانية تقريبا، وجه له ضربة جديدة، ثم ضربة بعدها، ثم هجوم ثالث ورابع، وكلهم جايين بسرعة خلت أغلب الموجودين يتابعوا المعركة بصعوبة، لأول مرة من بداية البطولة كلها كان فيه مقاتل فارض سيطرته الكاملة من أول ثانية، ومش مدي خصمه أي فرصة يفكر أو يرتب هجوم مضاد..

ممثل اليمن حاول أكثر من مرة يخرج من الضغط ده، حاول يبعد المسافة بينه وبين خصمه، وحاول يجبره على التراجع ولو خطوة واحدة، لكن كل محاولة كانت بتفشل قبل ما تبدأ، في كل مرة كان ممثل روسيا بيوصل له الأول، وكأنه عارف هيتحرك إزاي قبل ما يتحرك، ومع مرور الثواني بدأت علامات الإرهاق تظهر على ممثل اليمن، بينما خصمه كان لسه محافظ على نفس السرعة ونفس الدقة ونفس الهدوء والتركيز..

وأخيرا قرر ممثل اليمن يغامر بكل شيء، جمع كل القوة اللي عنده في ضربة واحدة، واندفع للأمام بكل ما يملك من سرعة وقوة على أمل إنه يقلب مجرى النزال في لحظة واحدة لدرجة إن عدد من الجن الموجودين في المدرجات اعتقدوا إن اللحظة دي هي نقطة التحول، لكن اللي حصل بعدها أنهى كل شيء، ممثل روسيا مال بجسده مسافة بسيطة جدا، مجرد حركة صغيرة كفاية تخلي الضربة تمر بجواره، وفي نفس اللحظة مد قبضته وضرب خصمه ضربة واحدة مباشرة في منتصف صدره..

لثانية كاملة ساد الصمت..

ممثل اليمن اترمى عبر الساحة كلها وطار عشرات الأمتار قبل ما يرتطم بالأرض ويتدحرج فوق الحجر عدة مرات، حاول يقوم، حاول يسند نفسه على دراعه، ثم على ركبته، لكن جسمه ما استجابش، ظل لثواني بيقاوم السقوط قبل ما ينهار مرة تانية على أرض الساحة وسط صمت كامل من الحاضرين، ممثل اليمن مكانش ضعيف بالعكس، يمكن لو كان واجه أي ممثل تاني غير منفذ روسيا كان هيفوز عليه، لكن حظه كدا، حتى أنا على الرغم من إني زعلت على اللي حصل له إلا إني كان لازم أفرح لأنه هيخرج وشدام مش هيواجهه..

حافظ العهد راقب المشهد للحظات، ثم رفع عصاه عاليا وقال بصوت سمعه كل من في القاعة

"انتهي النزال"

في اللحظة دي رجع ممثل روسيا ناحية رايته بنفس الهدوء اللي دخل بيه النزال، وكأن كل اللي حصل من شوية كان مجرد مهمة بسيطة انتهت، بينما اكتملت أسماء المتأهلين للمرحلة الثانية، ممثل العراق، وممثل المغرب، وممثل روسيا، وشدام ممثل راية مصر..

مكانش فيه وقت للراحة بين المرحلة الأولى والتانية من النزالات، الجن العجوز طلع على المنصة وبنفس القرعة اللي أجراها عمل بيها للمرحلة الأولى أجرى بيها المرحلة التانية، ونتيجة القرعة كانت ممثل روسيا ضد ممثل مصر، والعراق ضد المغرب!

نزل شدام وممثل روسيا إلى الساحة وسط صمت غريب سيطر على القاعة كلها، بعد انتهاء المرحلة الأولى ما بقاش فيه أي مجال للصدف أو الحظ، وكل اللي واقفين دلوقتي أثبتوا إنهم من أقوى التوابع اللي حضروا الاجتماع.

شدام كان ماشي بخطوات هادئة كعادته، ملامحه ثابتة وعينيه متجهة لقدام، بينما ممثل روسيا نزل من الجهة المقابلة بنفس البرود اللي ظهر بيه من أول البطولة، لا ابتسامة ولا نظرة تحدي ولا حتى اهتمام باللي حواليه، كأنه داخل ينفذ مهمة يعرف نتيجتها من البداية...

وقفوا الاتنين في نص الساحة، والهواء بينهم كان تقيل بشكل غريب، حافظ العهد بص لهم للحظات طويلة قبل ما يرفع عصاه ويضربها في الأرض معلنا بداية النزال، وفي نفس اللحظة تقريبا اختفى الاتنين من أماكنهم..

دوى انفجار ضخم في قلب الساحة وارتفعت الحجارة والغبار في كل اتجاه، أول اصطدام بينهم كان عنيف لدرجة إن الأرض نفسها اتشققت تحت أقدامهم، وبعدها بدأت المعركة الحقيقية..

مرة يظهروا فوق أحد الأعمدة الحجرية، ومرة يختفوا ويظهروا في طرف تاني من الميدان، ومرة تتقابل ضرباتهم في منتصف الطريق فتخرج موجة صادمة تهز القاعة كلها، ما كانش فيه أي طرف قادر يفرض سيطرته بشكل كامل، كل ما ممثل روسيا يحاول يضغط على شدام كان الأخير يرد عليه بهجوم أقوى، وكل ما شدام يعتقد إنه لقى ثغرة في دفاع خصمه كان ممثل روسيا يثبت له العكس..

مرت الدقائق والقتال بيزداد عنف، الشقوق انتشرت في أرض الساحة، وقطع ضخمة من الحجر اتكسرت وانتشرت في كل مكان، عدد من الجن الموجودين في المدرجات بطلوا يتابعوا بعينيهم أصلا، لأن سرعة المعركة بقت أكبر من إنهم يلاحقوها، لكن الجن القدامى كانوا

مركزين بكل انتباه، لأنهم فهموا إنهم بيتفرجوا على واحد من أقوى النزالات اللي حصلت في بطولة سيد التابعين من سنين طويلة..

وفي لحظة من اللحظات نجح شدام في توجيه ضربة مباشرة لخصمه أجبرته يتراجع عدة خطوات للخلف، ولأول مرة منذ بداية البطولة كلها ظهر تغير بسيط على وجه ممثل روسيا، ما كانش غضب، لكنه كان اعتراف إن خصمه مش مجرد تابع قوي، بل خصم يستحق القتال بجد..

ابتسم شدام ابتسامة خفيفة أول ما شاف التراجع ده، واندفع للأمام من جديد، الضربات بقت أسرع أعنف أدق وكل ثانية كانت بتمر كانت بتستنزف الطرفين أكتر..

لكن مع الوقت بدأ فرق الخبرة يظهر، ممثل روسيا ما كانش أقوى بفارق كبير، لكنه كان هادي أكتر ودقيق في اختيار لحظاته سواء الهجومية أو الدفاعية، وكمان أقدر على الحفاظ على قوته..

لحد ما اللحظة اللي قلبت المعركة..

شدام اندفع بهجوم عنيف بعد ما ظن إنه أخيرا كشف دفاع خصمه، كانت فرصة مثالية لإنهاء النزال، المسافة اختفت بينهما خلال لحظة، وقبضة شدام كانت في طريقها مباشرة نحو صدر ممثل روسيا، لكن قبل ما توصل اتحرك ممثل روسيا حركة خفيفة ووجه ضربة بخبرة ناحية أسفل فك شدام!

الضربة أصابته بقوة!

شدام اترفع عدة أمتار للأعلى وبعدها وقع على الأرض وساد الصمت..

كان شدام مرمي على أرض الساحة وسط الحجارة المكسرة والتراب المتناثر في كل اتجاه، والضربة الأخيرة اللي تلقاها من ممثل روسيا كانت عنيفة لدرجة إن أغلب الموجودين اقتنعوا إن المعركة انتهت خلاص، الغبار كان لسه متعلق في الهوا، وآثار الاصطدام كانت واضحة في الأرض اللي اتشققت واتكسرت تحت جسمه، أما ممثل روسيا فكان واقف على بعد عدة أمتار وهو بيبص ناحية خصمه بنفس الهدوء والبرود اللي ظهر بيهم من أول ما دخل البطولة، وكأنه كان مستني الجن العجوز يعلن النتيجة وبس..

وفعلا رفع الجن العجوز عصاه ببطء، وبص ناحية شدام نظرة أخيرة قبل ما يفتح بقه عشان يعلن نهاية النزال ويعلن تأهل ممثل روسيا للنهائي..

لكن قبل ما ينطق أول كلمة، حصل شيء غريب خلا الصوت يختفي من القاعة كلها دفعة واحدة، في البداية ظهر نور خافت جدا تحت جسم شدام، نور ضعيف بدأ يزيد شوية بشوية، ومع كل ثانية كانت بتعدي كان بيبقى أوضح وأقوى!

بعد لحظات قليلة بقى واضح للجميع إن النور مش جاي من الأرض ولا من المشاعل، لكنه خارج من شدام نفسه، الجن العجوز مكملش كلامه، واتجهت كل العيون ناحية الساحة، وحتى منفذ روسيا نفسه عقد حاجبيه لأول مرة من بداية البطولة وهو بيحاول يفهم اللي بيحصل قدامه!

المشاعل بدأت تهتز بشكل غريب، وألسنة النار اللي فيها بقت ميلة كلها ناحية شدام كأنها بتنجذب ليه، الحجارة الصغيرة المنتشرة حواليه بدأت ترتفع سنتيمترات قليلة عن الأرض، وأنا لقيت نفسي واقف من مكاني من غير ما أحس!

وفجأة صوابع شدام اتحركوا حركة خفيفة جدا..

لكنها كانت كفاية تخلي أكتر من جني يقف من مكانه!

بعدها بدأ يرفع رأسه ببطء شديد، ومع كل سنتيمتر كان بيرفعه كان النور اللي خارج من جسمه بيزداد قوة، بدأت علامات تتحفر على دراعه ورقبته ولما الحفر انتهى راحت تظهر بوضوح تحت جلده ثم اتحولت لخطوط فضية لامعة كأن حد بيرسمها بالنور!

ولما فتح عينيه أخيرا، كل اللي في القاعة اتصابوا بالذهول، شدام اتغير بالكامل، اتحول من طور لطور تاني خالص، ملامحه وجسمه وعضلاته وكل حاجه فيها اتغيرت، هو نفسه مكانش عارف إيه اللي حصل، لكنه كان منتشي وهو بيبص على جسمه وبيستكشفه من أول وجديد، وبعد لحظات من الذهول افتكر إنه كان في نزال والمفروض يكمّله..

بدأ شدام يقف على رجليه ببطء، والغريب إن كل آثار التعب اللي كانت واضحة عليه من لحظات اختفت بالكامل، الدم اللي كان نازل من جانب فمه وقف، وأنفاسه رجعت منتظمة، وكتفيه اللي كانوا واقعين من الإرهاق رجعوا مستقيمين من جديد، كان واقف في وسط الساحة وكأن الضربة اللي أسقطته من شوية ما حصلتش أصلا، لكن الحقيقة كانت أوضح من كده بكتير اللي واقف دلوقتي ما كانش نفس شدام اللي وقع على الأرض من دقائق!

في المدرجات، واحد من الجن الملازم للمنفذين همس بصوت مرتجف

"مش معقول، ده الطور التاني!؟ "

جني تاني رد عليه وهو مش قادر يبعد عينه عن الساحة

"أنا افتكرت إن المرحلة دي اندثرت من زمان! "

أما الجن العجوز فكان باصص على شدام بصمت كامل، ولأول مرة من بداية البطولة ابتسم..

وفي اللحظة دي حصل شيء خلى القاعة كلها تحبس أنفاسها..

النور اللي كان مغطي جسم شدام كله بدأ ينكمش فجأة، وكل الطاقة اللي كانت منتشرة حواليه رجعت لجواه في لحظة واحدة، اختفت الهالة، اختفى الوهج ثانية واحدة بس ساد فيها هدوء مطلق وبعدها شدام اختفى!

ممثل روسيا نفسه اتسعت عينه وهو بيلف رأسه بسرعة يمين وشمال، للمرة الأولى في البطولة كلها فقد أثر خصمه بالكامل، حاول يحدد مكانه، حاول يحس بطاقته، حاول يلاقي أي علامة تدله عليه، لكنه ما شافش أي حاجة!

وفجأة حس بقوة غريبة ظهرت من وراه!

ممثل روسيا لف جسمه بسرعة، لكنه كان متأخر، شدام في اللحظة دي كان ارتفع عدة أمتار عن الأرض وهو رافع قبضة إيديه الاتنين ونازل بيهم بكل قوته على جسم ممثل روسيا، وفي اللحظة التالية محدش شاف حاجه، لإن قوة الضربة نتج عنها ذرات غبار حجبت الرؤية للحظات، وفي النهاية شوفنا شدام بيرجع مكانه وممثل روسيا مغمى عليه من أثر الضربة..

بعد ما انتهى نزال شدام وممثل روسيا فضلت القاعة كلها عايشة على صدى المعركة دي حتى بعد ما الجن المسؤولين نزلوا وأصلحوا الأرض المكسرة والشقوق اللي كانت مالية الساحة

لسه الهمسات شغالة بين الحضور، ناس بتتكلم عن قوة شدام وناس بتتكلم عن التحول اللي ظهر فجأة، وناس تانية مش مصدقة أصلا إن ممثل روسيا اتغلب بعد ما كان أقرب شخص للفوز بالبطولة، لكن في النهاية ضرب حافظ العهد عصاه في الأرض وسكتت القاعة كلها..

نزل تابع العراق من الجهة اليمين للساحة ونزل تابع المغرب من الجهة المقابلة، الاتنين كانوا هاديين بشكل غريب، لا في استفزازات، ولا تحديات، ولا نظرات غضب، كأن كل واحد فيهم عارف إنه واقف على بعد خطوة واحدة من النهائي، ومش محتاج يضيع طاقته في كلام مالوش لازمة..

أعلن حافظ العهد بداية النزال وما كملش كلمته أصلا إلا وكان تابع العراق منطلق للأمام بسرعة كبيرة من أول ثانية، كان واضح إنه ناوي يحسم المعركة بسرعة، أسلوبه كله قائم على الضغط والهجوم المتواصل وده اللي عمله فعلا..

بدأ يهاجم من كل اتجاه ضربة ورا ضربة ورا ضربة لدرجة إن تابع المغرب اضطر يتراجع أكتر من مرة خلال أول دقائق من القتال، أصوات الاصطدام كانت بتتردد في القاعة كلها وكل شوية كانت قطعة حجر تتكسر أو جزء من الأرض يتشقق تحت قوة الضربات، تابع العراق كان في أفضل حالاته وكل الموجودين كانوا شايفين إنه هو المسيطر على مجريات النزال..

أكتر من مرة وصلت ضرباته بشكل مباشر لتابع المغرب..

وأكتر من مرة أجبر تابع المغرب إنه يكتفي بالدفاع..

ومع مرور الوقت بدأ بعض الحضور يقتنعوا إن المعركة قربت تخلص، لكن الغريب إن تابع المغرب ما كانش باين عليه أي توتر، كل ما يتلقى ضربة يرجع يقف تاني وكل ما يتراجع كام خطوة يرجع لمكانه بهدوء، لدرجة إني حسيت إنه مش مركز في المعركة دي قد ماهو مركز في المعركة النهائية اللي هتكون قصاد شدام!

تابع المغرب ولا مرة فقد أعصابه، ولا مرة اندفع بشكل متهور، كان بيقاتل وكأنه مستني حاجة معينة تحصل..

فاتت دقايق على الوضع دا، وتابع العراق لسه بيضغط بكل قوته، لكن بعض الجن والمنفذين اللي في المدرجات بدأوا يلاحظوا حاجة غريبة!!

تابع العراق رغم تفوقه الواضح لكن نفسه بدأ يبقى أتقل -بيتنفس بصعوبة- حتى حركته ما بقتش بنفس السرعة اللي بدأ بيها!

أما تابع المغرب فكان لسه محتفظ بنفس الهدوء، ونفس التركيز..

في اللحظة دي بقى واضح إن المعركة مش ماشية في الاتجاه اللي تابع العراق متخيله!

لكنه وفجأة قرر يحسمها!

صرخة قصيرة خرجت منه وهو بيندفع بأقصى سرعة، الأرض اتشققت تحت رجليه والمسافة اللي بينه وبين تابع المغرب اختفت في لحظة، جمع كل قوته في هجوم واحد عنيف كان واضح لأي حد بيتفرج إنه مصمم ينهي النزال بالهجوم دا لإنه حط فيه كل طاقته..

الاصطدام اللي حصل بعدها هز القاعة كلها، الغبار ارتفع واتكسرت أجزاء من أرض الساحة واختفى الاتنين للحظات وسط التراب المتصاعد، الكل ركز نظره ناحية المكان وغيروا من وضعيات جلوسهم، وبعد ثواني بدأ الغبار يهدى..

ظهر تابع العراق واقف وهو بيتنفس بصعوبة أكبر، أما تابع المغرب فكان على بعد أمتار قليلة، واقف وبس، واقف وباصص قدامه بهدوء..

رفع تابع المغرب رأسه شوية ومسح التراب من على كتفه بإيده وبعدها هجم للمرة الأولى بشكل جدي، ما كانش أسرع مقاتل في البطولة وما كانش صاحب أعنف ضربات، لكن كل حركة كان بيعملها كانت دقيقة بشكل مخيف!

بدأ يهاجم ومع أول دقيقة من هجومه اتغير شكل المعركة بالكامل، بقى تابع العراق هو اللي بيتراجع، وهو اللي بيدافع، وهو اللي بيحاول يلاقي فرصة يرجع يفرض سيطرته، لكن كل محاولة كانت بتفشل..

تابع المغرب كان بيقرأ تحركاته كأنه حافظها من قبل ما تحصل، كل ضربة ليها مكان وكل خطوة ليها هدف، وكل ثانية كانت بتعدي كانت بتستهلك جزء جديد من قوة خصمه، استمرت المعركة على الوضع ده لعدة دقائق لحد ما وصل الاتنين لاشتباك أخير في منتصف الساحة..

اندفع تابع العراق بكل اللي فاضل عنده بينما استقبل تابع المغرب الهجوم بهدوء وبعد عدة حركات سريعة قدر يفتح ثغرة صغيرة جدا في دفاع خصمه، ثغرة ما كانتش واضحة لأي حد، لكنها كانت كفاية لإنهاء المعركة..

في اللحظة التالية خرجت ضربة مباشرة واستقرت في صدر تابع العراق، الصمت نزل على القاعة كلها، تابع العراق اتراجع عدة خطوات للخلف، حاول يثبت نفسه، حاول يرفع إيده

من جديد، لكن رجليه خانته وركع على الأرض، حاول يقوم مرة تانية لكن المجهود اللي بذله من بداية النزال كان خلص كل اللي عنده..

رفع حافظ العهد عصاه للأعلى وبص للطرفين عدة ثواني بعدها أعلن عن انتهاء النزال لصالح تابع المغرب اللي حجز مقعده في النهائي ضد شدام..

الغريب إنه وهو رايح يقف تحت راية بلده كان واضح عليه إنه مخاضش أي نزال، مش عارف إذا كانت قوته بتتجدد تلقائيا ولا هو قوي للدرجة اللي تخليه ميبانش عليه أي مجهود أو إرهاق!

بعد ما أعلن حافظ العهد إن تابع المغرب هو الطرف التاني في النهائي القاعة كلها سكتت شوية وكأن الكل بيجهز نفسه لآخر نزال في البطولة كلها، النزال اللي هيحدد مين هيخرج من الاجتماع بلقب سيد التابعين، ومين هيفضل مجرد اسم اتكتب في سجلات البطولة وخلاص..

نزل شدام للساحة بخطوات هادية، لكن كل اللي كان حاضر معركة روسيا كان شايف إن ده مش نفس شدام اللي دخل البطولة من البداية، القوة اللي ظهرت منه في النزال اللي فات خلت ناس كتير تغير نظرتها ليه، وفي الجهة التانية نزل تابع المغرب بنفس هدوئه المعتاد، لا باين عليه توتر ولا خوف ولا حتى حماس..

ضرب حافظ العهد عصاه في الأرض ودوى الصوت في القاعة كلها وبعدها أعلن بداية النزال، وفي أقل من لحظة كان الاتنين اختفوا من أماكنهم، أول اصطدام بينهم هز الساحة كلها والأرض تحت رجليهم اتشققت من أول ضربة وبدأت المعركة بأعنف شكل ممكن، شدام كان بيهاجم بكل قوته وتابع المغرب كان بيرد بنفس الهدوء اللي ظهر بيه طول البطولة، وكل شوية كانت الحجارة تتكسر حواليهم وذرات الغبار تطير في الجو..

في البداية كانت المعركة متكافئة بشكل كبير، لدرجة إن محدش قدر يتوقع مين الأقرب للفوز، لكن مع مرور الوقت بقى واضح إن حاجة غريبة بتحصل شدام!

قوته كانت بتزيد مع كل دقيقة تعدي، وكل ما يضغط على نفسه أكتر كان بيطلع منه قوة أكبر، وكأن الطور الجديد اللي دخله في معركة روسيا لسه بيكشف أسراره..

في الأول أنا والمتفرجين افتكرنا إن ده شيء طبيعي، لكن بعد شوية الجن تحديدا بدؤوا يبصوا لبعض بقلق!

لأن زيادة القوى دي ما كانتش بتقف، كل دقيقة كان شدام أسرع من اللي قبلها وأقوى من اللي قبلها وأعنف من اللي قبلها، حتى تابع المغرب بدأ يتراجع وعينه بتعكس شيء شايفه في ملامح شدام احنا مش شايفينها!

لكن المشكلة ما كانتش في القوة، المشكلة كانت في شدام نفسه ملامحه بدأت تتغير بطريقة غريبة، عينيه الفضيتين بقى نورهم أقوى، والعلامات اللي على جسمه بدأت تنتشر أكتر، وأنفاسه بقت غير مسموعة كإنه بيخوض النزال بدون ما يتنفس أصلا!

وبقى واضح إنه مش مركز مع أي حاجة حواليه، كأنه نسي إنه في بطولة أصلا، ونسي مين خصمه، ونسي هو بيقاتل ليه، فجأة أطلق هجوم ضخم ناحية تابع المغرب تابع المغرب قدر يفلت منه بصعوبة لكن الضربة نفسها كملت طريقها وضربت أحد حواجز الساحة، القاعة كلها اهتزت وأجزاء من الجدار الحجري الضخم اتكسرت، وفي اللحظة دي وقف أكتر من جني من مكانه لأنهم فهموا إن الوضع بدأ يخرج عن السيطرة، لكن شدام ما وقفش بالعكس كأنه ما بقاش شايف أي حاجة قدامه غير التدمير وبس..

اندفع مرة تانية ومرة تالتة ومرة رابعة وكل هجوم كان أعنف من اللي قبله لحد ما بقى تابع المغرب مش بيحاول يكسب المعركة أصلا بقى بيحاول ينجو منها، أما أنا فبدأت أحس إن في حاجة غلط، في حاجة مش طبيعية!

دي كانت أول مرة اشوف فيها شدام بالشكل دا، شدام بيتميز بالهدوء والعقلانية والتفكير ودا سبب اختياري ليه من البداية..

بدأت أحس فيها بالخوف على شدام نفسه، مش الخوف إنه يخسر..

وفجأة وسط الفوضى دي كلها دوى صوت ضربة عصا قوية في القاعة، ضربة واحدة فقط لكن كانت كفاية تخلي الساحة كلها تسكت!

حافظ العهد كان نزل بنفسه لأول مرة من بداية البطولة وكان واقف بين شدام وتابع المغرب شدام حاول يهجم عليه من غير تردد، لكن قبل ما يوصل بخطوة واحدة رفع حافظ العهد إيده بس كده مجرد رفع إيده وفجأة اتجمد شدام مكانه، والأرض تحت رجليه اتكسرت وركب على الأرض بالعافية وهو بيحاول يقاوم لكن كل ما يحاول يتحرك كان الضغط يزيد عليه أكتر كإن الجن العجوز حط جبل فوق كتف شدام..

القاعة كلها كانت ساكتة محدش بيتكلم، لأنهم لأول مرة بيشوفوا جزء بسيط من القوة الحقيقية لحافظ العهد، بعدها بثواني بدأ النور اللي مغطي جسم شدام يضعف بالتدريج، والعلامات المضيئة بدأت تختفي، لحد ما وقع على ركبتيه وهو بيتنفس بصعوبة..

رفع حافظ العهد عصاه وبص للحاضرين كلهم قبل ما يقول بصوت هادي لكنه مسموع في كل مكان، وقال

"بسبب فقدان السيطرة على القوة الجديدة يتوقف النزال عند هذا الحد الفائز هو تابع المغرب"

الغريب إني وقتها ما حسيتش بأي زعل من الهزيمة، ولا حتى فكرت في اللقب كل اللي كنت بتمناه كوسام ليا، كل تركيزي كان على شدام وهيئته وهو خائر القوى، ضايع مش قادر يتحكم في قوته الجديدة، نفضت كل الأفكار دي من دماغي وقولت في سري مش مهم، لو كان تابع المغرب كسب لقب سيد التابعين، فانا كسبت شدام جديد..

بعد أسبوع كامل من انتهاء اجتماع المنفذين رجعت حياتي تقريبا لطبيعتها القديمة أو على الأقل ده اللي كان باين للناس اللي حواليا في مواقع الحفر والاستكشاف اللي كنت بشتغل فيها كجيولوجي بين الصحاري والجبال البعيدة، لكن الحقيقة كانت مختلفة تماما لأن من يوم البطولة وأنا مش قادر أنسى اللي حصل في الساحة، ولا الصورة الأخيرة لشدام وهو راكع تحت قوة حافظ العهد بعد ما خرج الطور الجديد عن السيطرة..

طول الأسبوع ده شدام كان ساكت بشكل غريب، دايما قاعد لوحده وبيفكر، وبيفكر كتير جدا

في أوقات كنت أصحى قبل الفجر ألاقيه واقف بعيد فوق تبة رملية لوحده باصص ناحية الأفق كأنه مستني إجابة لسؤال محدش غيره يعرفه..

أما مرهوب وجرموق فالوضع بينهم كان مختلف، من أول يوم تقريبا بدأ الجدال بينهم، وكل واحد له رأي مختلف بالنسبة للي حصل لشدام، يعني مثلا مرهوب كان مقتنع إن اللي حصل لشدام دا شيء عظيم ونادر والمطلوب هو إطلاق القوة دي بالكامل، أما جرموق فكان شايف إن القوة اللي ملهاش سيطرة بتتحول لكارثة أسرع ما تتحول لسلاح، كل واحد فيهم كان شايف الموضوع من زاوية مختلفة..

شدام سامعهم وشايفهم لكن مش متدخل في نقاشهم، مفيش واحد منهم عارف ياخده في صفّه، لحد ما قررت اتدخل في الموضوع بنفسي وأحاول أشوف له حل..

مرهوب بصلي وقال "لازم يتدرب"

جرموق هز راسه وقال "لازم يتدرب صح"

بصيت لشدام اللي كان قاعد فوق صخرة قريبة وسألته "وأنت إيه رأيك؟ "

رفع عينه اللي مليانه حيرة ناحيتي، وسكت شوية قبل ما يقول "أنا عايز أعرف إيه اللي حصل جوايا وبس! "

مش عارف ليه وقتها حسيت إن شدام قريب مني جدا، أو قريب من البشر عموما، من بداية رحلته معايا وأنا حاسس إنه تبع عالم الإنس مش الجن، حسيت إنه زي الطفل الصغير اللي ظهرتله حاجه جديدة وعايز يتعلمها، زي الطفل اللي أبوه عمل له مفاجأة واشتراله عجلة وهو مش عارف السواقة!

بعد يومين كنا واقفين في مكان محدش تقريبا يعرفه، منطقة صحراوية في قلب الصحرا، مكان فاضي، صحرا من كل الجوانب، امتداد لا نهائي من الصخور والرمال والهضاب الجافة..

مرهوب كان واقف قصاد شدام، وجرموق كان قاعد فوق صخرة بيراقب اللي بيحصل، فجأة مرهوب ضرب شدام في صدره بإديه الاتنين وقاله "يلا وريني"

شدام مفهمش المقصد من الكلام وعقد حواجبه راح مرهوب كمل كلام وهو بيدفع شدام بإيده وقاله "وريني القوة الجديدة بتاعتك"

شدام رد بهدوء "مش عارف أطلعها"

مرهوب ابتسم وقاله "ماهو عشان كدا احنا هنا" بعدين كمل رخامة على شدام وراح يضربه ضربات خفيفة مرة في كتفة ومرة في صدره وهو بيقول "القوة دي مظهرتش وقت ما كنت هادي، ظهرت وقت ما كنت على وشك الهزيمة، وقت ما جسمك وصل لآخر حدوده، يعني الحل واضح"

جرموق نط من فوق الصخرة وقال "وده بالظبط أغبى حل ممكن تعمله"

مرهوب بصله باستغراب وضيق "وإيه الحل العبقري بتاعك؟ "

"نفهم القوة الأول وبعدين نستخدمها، مش العكس"

مرهوب ضحك ضحكة ساخرة وقال "الجن عمره ما فهم قوته وهو قاعد يفكر فيها، القوة بتتفهم وسط القتال"

بعد ما سكت مرهوب وجرموق للحظات كان شدام واقف بينهم وهو بيحاول يفهم مين فيهم صح ومين غلط أما، أنا فكنت متابع النقاش من بعيد ومستغرب إزاي كل واحد فيهم شايف القوة الجديدة دي بطريقة مختلفة عن التاني، مرهوب شايف إنها فرصة لازم تتفتح على آخرها، وجرموق شايف إنها خطر لازم يتفهم الأول قبل أي حاجة..

وفجأة ومن غير أي مقدمات جرموق اتحرك..

في البداية افتكرت إنه رايح ناحية شدام، لكن بعدها اكتشفت إنه متجه ناحيتي أنا بسرعة مخيفة، سرعة خلت الرمال تتطاير وراه وكأنه إعصار صغير بيتحرك فوق الأرض، وفي أقل من ثانية كان بيقرب مني بشكل مباشر أنا نفسي ما فهمتش إيه اللي بيحصل، وحتى مرهوب لف ناحيته باستغراب لكن قبل ما جرموق يوصل بخطوة واحدة ظهر شدام قدامي كأنه اتزرع بيني وبينه..

وفي لحظة رفع إيديه الاتنين والهوا اتحول لدرع شفاف بينهم، شدام وقف كحائط كامل قدامي وهو بيبص لجرموق بعدم فهم، وسأله "إنت بتعمل إيه؟ "

لكن جرموق ما ردش وكمل اندفاعه ناحيتي لكن من جهة مختلفة، وكان قبل ما يوصلني بخطوة كان شدام بيظهر كحائط صد بيني وبينه وهو مش فاهم جرموق بيهاجمني ليه؟

مرهوب وقتها دخل المعركة بعد ما اتأكد إن جرموق هو كمان خرج عن السيطرة وبيهاجمني بجد، انطلق ناحيته بكل قوته لكن للمرة الأولى من يوم ما عرفته شفت مرهوب بيتراجع قدام خصم بشكل مباشر ضربة واحدة من جرموق كانت كفاية تخليه ينزلق عشرات الأمتار فوق الرمال، وضربة تانية أجبرته على استخدام كامل قوته عشان يفضل واقف على رجليه..

ومع مرور الوقت واحتدام المعركة بين شدام ومرهوب من ناحية وجرموق من ناحية تانية، بدأت ملامح جرموق نفسها تتغير اللون الداكن اللي كان مغطي جسمه بالكامل، بدأ يميل

للسواد والعروق المضيئة ظهرت تحت جلده بشكل واضح، وعينيه فقدت هدوءها المعتاد وبقى خارج منهما بريق غريب خلى مرهوب يتجمد مكانه لثواني وهو بيبصله، في اللحظة دي عرفت ليه المنفذ السابق اكتفى بجرموق لوحده بدون أي توابع تانيين، وعرفت ليه اسم جرموق كان بيتقال باحترام وسط الجن لإن اللي كان واقف قدامنا دلوقتي مكانش مجرد جن قوي بيفرض سيطرته علينا، كان أشبه بجن أسطوري مش شايف حد قدامه، ورغم كده شدام ما اتحركش من مكانه ولا خطوة، كان بيدافع عني باستبسال، كل ما يتضرب يرجع يقف من جديد، لحد ما وصلنا للحظة اللي بقى فيها شدام ومرهوب الاتنين على وشك السقوط وساعتها حصل التغيير..

شدام بدأ يغضب..

مش غضب خوف ولا غضب هزيمة، غضب الحارس اللي شايف حد بيحاول يإذي الشخص المكلف بحمايته، وفجأة الريح سكت والهوا اتجمّد وبدأت الرسومات والنقوش يظهروا على جسم شدام والنور الفضى يخرج منهم زي ما حصل أول مرة في قاعة النزال أثناء المسابقة..

بدأت الخطوط الفضية تنتشر تحت جلده من عند دراعه ثم طلعت ناحية كتافه ورقبته' وبعدها امتدت لباقي جسده كله، وكل ما كانت الخطوط تزيد كان النور اللي خارج منها يقوى أكتر لحد ما بقى جسمه كله كأنه متغطي بشبكة من الضوء الفضي اللامع، أما عينيه فكانت أكتر حاجة مخيفة لأم اللون العادي بتاعها اختفى تماما وبقى مكانها ضوء أسود قاتم خالي من أي ملامح لدرجة إن اللي هيشوفه مش هيعرف هو بيبص على إيه أصلا!

مرهوب وقف مكانه وسط الاتنين ومش مصدق اللي شايفه، أما جرموق فكانت دي أول مرة تختفي الابتسامة من على وشه، وفجأة شدام رفع راسه واختفى..

وفي اللحظة اللي بعدها ظهر قدام جرموق مباشرة، الاصطدام اللي حصل بينهم هز الصحرا كلها، الأرض انفجرت تحت رجليهم والرمال ارتفعت بعض الأمتار في الهوا، ولأول مرة من بداية القتال جرموق اترجع خطوة لورا، بعدها خطوتين وتلاه، وشدام بيهاجم بدون توقف، كل ضربة أقوى من اللي قبلها، وكل ثانية كانت بتعدي كانت قوته بتزيد وتتضاعف، جرموق حاول يتكلم، حاول يشرح لكن شدام مكانش بيسمع، كان باين عليه إن حاسة السمع عنده اتمحت وظهرت حاسة جديدة هي القضاء على التهديد اللي بيحاول يإذيني..

جرموق رفع صوته لأول مرة وقال "كفاية" لكن شدام رد عليه بضربة جديدة هزت الأرض كلها، جرموق اتراجع وهو بيبصله وقال "أنا مكنتش بهاجمه" لكن الجملة مكملتش بسبب إن شدام ظهر فوقه وضربه ضربة أعنف من الضربات اللي قبلها، في اللحظة دي مرهوب بدأ يفهم الحقيقة، فهم إن جرموق عمل كدا عشان شدام يظهر قوته ويدخل في الطور التاني، فهم إن المشكلة دلوقتي مبقتش في جرموق، المشكلة بقت في شدام نفسه!

أما أنا فكنت واقف أراقب المشهد ومش عارف أتصرّف إزاي، القوة اللي كنت فرحان بيها من أسبوع كانت قدامي دلوقتي بشكل مرعب، قوة أكبر من السيطرة وأكبر من الفهم ويمكن أكبر من شدام نفسه لأنه مش عارف يتحكم فيها، وفجأة شدام رفع إيده من جديد والنور اللي حواليه بدأ يتجمع فيها بشكل مخيف، ساعتها حسيت إن الهجوم دا لو خرج فالموضوع مش هيقف عند جرموق ولا مرهوب ولا حتى عند المكان اللي احنا فيه ومن غير ما افكر طلعت الخاتم من جيبي ولبسه وفي الثانية اللي بعدها جريت ناحية شدام ومسكت إيده، في الأول محصلش حاجه وكان النور لسه بيتجمع حواليها لكن بعد ثواني بطيئة بدأ شدام يلف راسه ناحيتي من بداية التحول، وبعدها اللون الأسود اللي في عنيه يختفي بالتدريج وعينه ترجع لطبيعتها، بصلي وهو مش عارفني أنا مين لكن بمرور اللحظات كان عقله وإدراكه بيرجعوله، قولتله بهدوء "خلاص يا شدام انتهت، محدش بيهاجمني، محدش هيأذيني"

فضل باصصلي لحظات والنور اللي مغطي جسمه بدأ يختفي بالتدريج، والخطوط الفضية راحت تبهت، والرمال اللي كانت بتدور حواليه وقفت ووقعت مكانها على الأرض والهوا رجع لطبيعته لحد ما شدام وقع على ركبته وهو بيتنفس بصعوبة..

صحيفة استدعاء صادرة بختم قبائل الوادي السابع

إلى تلميذ الجن حامل العهد والتكليف ومن بيده زمام ثلاث من الجن

بلغنا ما وقع لخادمك "شدام" من انتقاله إلى الطور الذي لا يدخله إلا قليل من بني الجن، وهو انتقال لا يُترك لصاحبه حتى يستقر عليه، ولا يُؤمن جانبه حتى تُعرف حدوده.

وعليه..

فقد أجمعت القبائل، بإذن المجلس الأعلى على استدعاء المذكور شدام إلى مضاربنا مدة لا تقاس بأيام الإنس، حتى يخضع لدوائر الترويض، ويشهد مجالس الضبط، ويتلقى ما يلزمه من علوم التحكم فيما استُحدث له من قوة..

ويظل شدام، طوال مدة الاستدعاء، تحت عهدة القبائل، لا يُستدعى لتنفيذ حكم، ولا يُكلف بمرافقتك..

ولا يُعد هذا الاستدعاء انتقاصا من سلطانك عليه، وإنما هو حفظ له ولك، ولمن يسير معكما..

فإن القوة إذا سبقت صاحبها، كانت أول من يفترسه..

فإذا اكتمل تدريبه، وأقر أهل المعرفة بثباته، رُدَّ إليك كما خرج منك أو أشد..

وقد خُتم هذا الأمر، فلا يُراجع فيه حتى تنقضي مدته، أو ترى القبائل غير ذلك..

والسلام..

أنا فضلت باصص للرسالة اللي وصلتني دي، اختفت فجأة بعد ما كملت قراءتها، وبعدين رفعت عيني وأنا بسأل نفسي هو يعني إيه؟ هياخدوا شدام مني كدا عادي؟

جرموق ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال واضح إنك نسيت إنك بتفكر بعقل البشر. عندكم لو قائد راح للتدريب يبقى ضعف، إنما عندنا العكس..

سألته يعني دا طبيعي؟

رد عليا وهو بيفكر إزاي يوصل لي المعلومة أو إزاي يشرحهالي:

طبيعي؟ لا دا نادر جدا، أغلب الجن بيموتوا بنفس القوة اللي اتولدوا بيها، والقليل منهم بيتعلم قوة جديدة أو سحر جديد، أما اللي يدخل طور جديد فدول بيتعدوا على الأصابع..

بعدها بص ناحية شدام وهو واقف ساكت وقال:

آخر مرة قبائل الجن استدعت واحد للترويض كانت من قرون طويلة والمنفذ اللي كان معاه مات قبل ما يشوفه راجع، وبصراحة مش عارف إذا كانت الفترة دي بتعتمد على جاهزية الجن للتدريب والتحكم في قوته، أو بتعتمد على الجن اللي بيدربوه، مقدرش أفيدك في النقطة دي..

سكت شوية، وبعدين قال:

اللي أعرفه ومتأكد منه إن ظهور الطور الجديد مع شدام مش معناه إنه بقى قوي وبس، دا معناه إن مستقبله لسه ما بدأش ولو سيطر على القوة دي، هيبقى من الأسماء اللي القبائل نفسها تخاف منها وهيجي يوم يتقال فيه ده شدام من غير ما يقولوا قصته، لإن اسمه لوحده هيكون كافي جدا..

هزيت راسي وأنا بنفض الأفكار دي كلها منها، وبصيت ناحية شدام وقولتله أنت مش هتروح مهما كانوا مين أنا مش هسيبك..

شدام فضل واقف ساكت، لا اعترض ولا وافق، كأنه كان متردد زيي ومش عارف يعمل إيه ولا يقول إيه..

جرموق هو اللي قطع الصمت وقال دي مش دعوة تقدر ترفضها، ولا أمر يخصك وحدك، دي قبائل كاملة أجمعت على استدعائه، اللي حصل لشدام في المسابقة أكيد عيون كتير بقت تتابعه وتراقبه، وأكيد كمان اسمه اتناقله مليون لسان، الأحسن أنك تذعن للأمر مش ترفضه.. بصيت له بغضب وأنا نادرا لما أغضب وقلت له، هو معايا من يوم خرجت بيه من عالمكم وهو مسؤوليتي، ومحدش هياخده مني، أنت بتقول إن اللي قبله رجع بعد ما المنفذ مات، يعني احتمال مشوفوش تاني، وبصراحة كدا هو الوحيد اللي أنا واثق فيه فيكم أنتوا التلاتة..

جرموق نزل راسه للأرض، مرهوب كان قاعد بعيد ومفيش حاجه من ملامحه اتغيرت ولا كأنه سمع الكلمة، أنا بس اللي ندمت على جملتي الأخيرة ومكانش المفروض أقولها، لكنها خرجت غصب عني..

لحظات صمت..

شدام أخيرا اتحرك خطوة لقدام وقال بصوت هادي بيخاطب بيه جرموق وبيطلب منه إنه هو اللي يتكلم معايا..

كانت أول مرة أشوفه بيتدخل بالشكل ده، وأول مرة أحس إن صوته فيه شيء من التردد، رفع عينه ناحيتي وقالي أنا اللي بطلب منك توافق..

الكلمة وقعت علي كأنها حجر، شدام عمره ما طلب مني حاجة، عمره ما اعترض على قرار، ولا حتى اشتكى من مهمة كلفته بيها، قلت له وأنا مش مصدق إنت؟ بتطلب مني أمشيك بإيدي؟

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال، لأن القوة اللي جوايا مبقتش تحت أمري، كل مرة بغضب فيها بحارب نفسي قبل ما أحارب اللي قدامي، وكل مرة بتدخل تلحقني، بخليك تعرض حياتك للخطر عشاني، لو فضلت بالشكل ده هييجي يوم مش هعرف أفرق بين عدو وصديق، ويمكن أول واحد يتأذى مني تكون أنت!

سكت شوية، وبعدين كمل وهو باصص في الأرض، أنا مش رايح عشان أبقى أقوى أنا رايح عشان أرجع قادر أحميك من غير ما أخاف عليك من نفسي..

فضلت أبص له ومش لاقي كلام أقوله، وكل الذكريات كانت بتمر قدام عيني، أول مرة شوفته، أول مهمة خرجنا فيها، كل مرة وقف قدامي وهو بيتلقى الضربة بدالي، وكل مرة كنت مطمن لمجرد إنه واقف على بعد خطوات مني...

قلت له بصوت واطي ومخنوق، أنا متعود إنك موجود، معرفش هعمل إيه من غيرك؟

رفع رأسه وبصلي نظرة هادية وقال، وأنا متعود إن كل ما أبص حوالي ألاقيك واقف، يمكن دي أول مرة هنبعد عن بعض من يوم التقينا..

مد إيده ناحيتي، ولما مسكتها حسيت إنها بترتعش، استغربت جدا، لأن شدام بالنسبة لي كان معنى من معاني الثبات، قلت له إيدك بتترعش؟

ضحك ضحكة خفيفة وقال عارف من يوم خرجت معاك وأنا دخلت معارك ضد جن أكبر مني بكتير، وما خفتش ولا مرة، لكن النهارده أول مرة أخاف..

سألته، خايف من التدريب؟

هز رأسه بالنفي وقال لأ، أنا خايف أرجع بعد السنين دي وألاقيك احتجتني وأنا مكنتش جنبك، أو أرجع وأكون اتغيرت لدرجة متعرفنيش، الطور الجديد بيقولوا إنه بيغير الجني وأحيانا بياخد منه أكتر ما بيديله، أنا مش خايف على قوتي أنا خايف أرجع ومبقاش شدام اللي انت عرفته..

سكت لحظة، وبعدها فك من معصمه سوار أسود قديم كنت شايفه عليه من أول يوم، ومدهولي وقال، السوار ده معايا من قبل ما أعرف اسمك، وأقسمت زمان إنه ميفارقنيش طول عمري، النهارده هسيبه معاك..

سألته بعيني ليه؟ رد بهدوء، لأن اللي بيسيب حاجة وراهلازم يرجع ياخدها، اعتبره وعد مني بالرجوع، والرجوع في أقرب فرصة كمان..

في اللحظة دي بدأ جن القبائل يظهروا من بين الكثبان، صفوف طويلة واقفين في هدوء غريب، ولا واحد منهم بيتكلم، وكأن الصحرا نفسها فتحت لهم طريق، تقدم كبيرهم خطوة وبص ناحية شدام نظرة معناها انتهى الوقت وتعالا معانا..

بصيت لشدام وأنا حاسس إن لساني تقيل، وكل الكلام اللي في دماغي اختفى، ومقدرتش أقول غير ارجعلي بسرعة، سواء أقوى أو أضعف مش مهم..

ابتسم للمرة الأخيرة وقال هارجع بس المرة الجاية، مش هتكون أنت اللي بتحميني من قوتي هكون أنا اللي رجعت أقوى عشان أحميك بيها..

لف شدام ومشي مع الوفد، وكل خطوة كان بيبعدها كنت حاسس إن جزء مني بيتسحب معاه..

كنت متوقع إنه هيكمل طريقه من غير ما يبص، لكنه قبل ما يختفي وسط الضباب وقف لحظة، ولف برأسه بسرعة، كأنه بيتأكد إني لسه واقف مكاني، ولما عيوننا اتقابلت هز رأسه هزة صغيرة، الهزة اللي كان بيعملها كل مرة قبل أي مهمة، وبعدها كمل طريقه واختفى بين أفراد القبائل، وساعتها لأول مرة من يوم دخلت عالم الجن حسيت إن الصحرا واسعة بشكل مرعب وإن غياب شدام خلّى المكان كله فاضي..

من يوم ما شدام سابني وراح مع وفد القبائل، وأنا حاسس إن حاجة كبيرة اتشالت من حياتي..

الغريب إن وجوده كان بالنسبالي طبيعي لدرجة إني مكنتش واخد بالي قد إيه متعود عليه، لكن أول ما اختفى، اكتشفت إن فيه شيء نقص مني، الصحرا بقت أوسع، حتى الشغل اللي طول عمره بينسيني أي حاجة مبقاش قادر يشغلني عنه، كنت أخرج مع فريق المساحة، أمسك الصخور وأفحص الطبقات، وأكتب الملاحظات، لكن دماغي كانت في مكان تاني...

كل شوية ألاقي نفسي ببص حواليا كإني مستني أشوف شدام واقف بعيد، راجع مبتسم واثق وسعيد ويحكيلي اللي حصل معاه، واعمل سيناريو في خيالي كأنه حقيقي، وبعدها أفتكر إن كل دا مش موجود، فارجع أكمل شغلي وأنا مخنوق أكتر من الأول..

مر أسبوع تقريبا على الحال ده، ومرهوب وجرموق كانوا سايبني على راحتي، ولا واحد فيهم حاول يفتح معايا الموضوع من جديد أو يحاول يواسيني، كانوا فاهمين إن الكلام ساعات بيزود الوجع، وإن في حاجات الزمن هو اللي بيهديها..

لحد ما في ليلة، كنت قاعد لوحدي قدام نار صغيرة في قلب الصحرا، باصص للهب من غير ما أفكر في أي حاجة، لقيت جرموق ظهر فجأة قدامي وهو قاعد، ومرهوب وقف وراه مكتف إيده، وباين عليهم إنهم متفقين على حاجة، لأول مرة الاتنين يتفقوا على حاجه من وقت ما بقوا مع بعض!

جرموق قالي بلهجة سياسية كأنه بياخدني على قد عقلي، إحنا سايبينك من يوم ما شدام مشي، وقلنا يمكن يوم ولا اتنين وترجع لطبيعتك، لكن واضح إنك كل يوم بتبعد عن طبيعتك أكتر!

ابتسمت ابتسامة باهته وحاولت أرد عليه لكن ملقيتش كلمات مناسبة، فاكتفيت بالابتسام..

مرهوب اتكلم هو كمان وقال، ولو فضلنا مستنيينك تخرجه من دماغك لوحدك ممكن يفضل غايب ولما يرجع يلاقيك اتجنيت ولا حاجه..

كنت حاسس إنهم عايزين يعملوا حاجه وبيمهدوا، بصيتلهم باستغراب وقلت يعني إيه؟

جرموق ابتسم ابتسامة غريبة وقال: يعني عندنا مكان كتير من البشر ميعرفوش عنه حاجة، وحتى أغلب الجن عمرهم ما دخلوه..

الجملة الأخيرة نجحت في لفت انتباهي، وبصيص من الحماسة رجعلي فسألته: مكان إيه دا؟

قال وهو بيقوم عشان يقف: سوق..

ضحكت من غير اقتناع وقلت: يعني هتاخدوني السوق عشان أفك عن نفسي؟

بصلي جرموق كأني قلت أغبى حاجة ممكن تتقال، وقال: إنت فاكر إننا بنتكلم عن سوق البشر؟

سكت شوية، وبعدين كمل بصوت هادي: في قلب الصحرا، مرة واحدة كل سنة، بيفتح سوق لا يتبع قبيلة، ولا يخضع لملك، ولا تنفذ فيه الأحكام، ولا يُسمح فيه بثأر أو قتال، سوق

بيجتمع فيه تجار الجن، والسحرة، والدجالين، والباحثين عن الطلاسم، وحتى بعض البشر اللي عرفوا طريقه ودفعوا تمن المعرفة..

ضيقت عيني وفضلت باصص له من غير كلام وأنا بحاول أستوعب شوية المعلومات الجديدة اللي أول مرة أسمعها في حياتي، وعقلي بيحاول يتخيل مكان السوق دا وإيه اللي بيتباع فيه، وإزاي فيه بشر عاديين بيحضروه!

مرهوب كمل وقال: ولو دخلته هتنسى شدام كام ساعة على الأقل..

ابتسم جرموق وقال: ولو محصلش على الأقل هتشوف مكان لو عشت ألف سنة في عالم الجن، مش مضمون تشوفه مرتين..

وقتها، لأول مرة من بعد سفر شدام، حسيت إن الفضول بدأ يغلب الحزن، وبدأت أنقل نظراتي بين مرهوب وجرموق والسما..

جرموق قال وهو بيبص ناحية الأفق: قدامنا ساعات قليلة بس، لو اتأخرنا دقيقة واحدةهنفضل نستنى للسنة الجاية..

قمت وأنا لسه مش مستوعب الكلام كله، وسألته: هو السوق ده فين؟

ابتسم جرموق وقال: لو حد عرف مكانه قبل ما يفتح مكنش حد غلب..

مشينا بالعربية مسافة طويلة وسط الصحراء، وأنا على قد ما أعرف المنطقة دي بحكم شغلي، كنت متأكد إننا داخلين ناحية مكان مفيهوش أي حاجة، لا جبال، ولا آبار، ولا حتى طريق قديم، كنا داخلين في بطن الصحرا..

.

وبعد حوالي ساعتين، طلب مني مرهوب أقف بالعربية..

بصيت حواليا باستغراب وسألته: وقفنا ليه؟

قال بهدوء: من هنا مفيش بشر بيكمل بعربيات..

نزلنا، وقفلت العربية، ولسه هسأل هنمشي فين، لقيت جرموق بيطلع من جيبه كيس صغير من الجلد فتحه وطلّع منه حفنة رمل لونها أسود، ورماها قدامنا!

الغريب إن الرمل منزلش على الأرض، فضل واقف في الهوا ثواني كأنه بيدرس المكان أو بيستشعر الموقع اللي احنا فيه وبعدين اتحرك لوحده كأنه بيتسحب في اتجاه معين!

جرموق قال: رمل السوق كل سنة بيقود الداخلين لمكانه..

مشينا ورا الرمل، وكل ما نمشي شوية كنت أحس إن الدنيا حواليا بتتغير من غير ما أعرف إزاي!

النجوم بقت أكتر، والجو أبرد، وحتى صوت خطواتنا على الرمل اختفى، بقيت حاسس إننا ماشيين فوق الأرض لكن الأرض نفسها مبقتش هي الأرض اللي أعرفها!

وفجأة وقف جرموق وقال بصوت هادي: وصلنا حرم السوق..

بصيت قدامي لكن مشوفتش حاجة! المكان كان عبارة عن صحرا فاضية، بصيت حاوليا باستغراب وأنا بسألهم وبسأل نفسي: هو فين؟

مرهوب قالي: امشي بس لقدام..

مشيت كام خطوة وأنا مش فاهم وفي اللحظة اللي عديت فيها نقطة معينة، حسيت كأن موجة باردة عدت من جوه جسمي كله، برودة بحس بيها لما طاقة المكان بتتغير فجأة، لدرجة إني وقفت مكاني غصب عني، ساعتها سمعت صوت خافت، مش جاي من مكان معين، لكنه كان حواليا من كل ناحية، بيقول:

"من دخل السوق دخل بعهد، فلا يُتبع، ولا يُكشف، ولا يُظلم، حتى يغادر."

بصيت بسرعة ناحية جرموق اللي ابتسم وقال الطلسم اشتغل، سألته: إيه اللي حصل؟

قال: من اللحظة دي لو أكبر متتبع من الجن حاول يعرف إحنا فين هيفشل ولو ساحر رسم ألف طلسم عشان يوصل لينا هيتوه ولو قبيلة كاملة خرجت تدور علينا هترجع من غير أثر..

مرهوب كمل وهو بيبص قدامه:

حتى إحنا لو افترقنا جوه السوق من غير ميعاد أو علامة ممكن نقضي أيام بندور على بعض..

لسه هسأله يعني إيه، لكن قبل ما أنطق، بدأت الرمال اللي قدامنا تتحرك ببطء، كأن عاصفة صغيرة بتلف في مكانها. الرمال ارتفعت أكتر وأكتر، لحد ما بقت زي ستارة ضخمة، وبعد ثواني بدأت تنزل على الجانبين بهدوء، وساعتها ظهر السوق!

سوق الجن مكانش عبارة عن خيام بسيطة ولا كام تاجر قاعدين على الأرض زي ما كنت متخيل، السوق كان أشبه بقرية صغيرة ظهرت فجأة في قلب الصحرا..

مئات الخيام بأحجام مختلفة، مباني حجرية قصيرة، مشاعل لونها أزرق معلقة في الهواء من غير أي حامل، كيانات كتيرة رايحه جايه بشكل طبيعي ومحدش مركز مع حد، أصوات بيع وشراء بلغات عمري ما سمعتها، وروائح بخور وأعشاب ومعادن قديمة مالية المكان كله

والأغرب من كل دا إن اللي كان ماشي جنب جني ممكن يكون إنسان عادي جدا، واللي واقف يساوم على كتاب قديم، ممكن يكون دجال مشهور بين البشر، واللي قاعد في آخر الطريق لابس جلابية بسيطة، ممكن يكون أخطر تاجر في السوق كله

وقفت مكاني وأنا مش قادر أستوعب المشهد..

وأول حاجة شدت انتباهي كانت إن محدش ماسك عملات، ولا شفت حد بيعد دهب أو فضة مثلا! كل عملية بيع كانت عبارة عن اتفاق بين الاتنين، وبعدها التاجر يحط إيده على إيد المشتري أو على جبينه لثواني، والزبون يمشي وهو راضي..

سألت جرموق: هو الناس دي بتدفع إيه؟

ابتسم وقال: السعر بيكون عبارة عن اتفاق بين البائع والزبون، مثلا زبون يدفع سنة من عمره، زبون تاني يدفع جزء من قوته، واحد يتنازل عن موهبة مثلا، واللي بيدفع أيام من عمره وهو أصلا ميعرفش قدامه قد إيه يعيش، هنا مفيش عملة موحدة، هنا كل شئ بيكون عملة، المهم الاتفاق يتم بالتراضي بين الطرفين..

كل محل في السوق كان عالم لوحده!

واحد بيبيع خرائط مرسومة على جلد مخلوقات منقرضة بتظهر عليها أماكن ما بتبانش غير في ليالي معينة..

والتاني حاطط عشرات الكتب الصفراء اللي أول ما تقرب منها، الصفحات تقلب نفسها كأنها بتنادي على اللي يدور فيها..

وفي محل تاني معلق أقفاص فيها طيور غريبة، طيور مش للبيع علشان جمالها، لكن لأن ريشها بيدخل في صناعات سحرية نادرة..

وفيه تاجر حاطط قدامه زجاجات مليانة رمال بألوان مختلفة، كل حفنة منها جاية من مكان مستحيل يوصل له إنسي..

وفي آخر الشارع راجل عجوز قدامه صناديق صغيرة، كل صندوق مقفول بقفل مختلف، ولما سألت جرموق عنها، قالي إن الصناديق دي جواها تعاويذ قديمة، بعضها يشفي، وبعضها يلعن، وبعضها بصراحة محدش عارف بيعمل إيه..

وأنا بصراحة كنت ميّال للكتب والقراءة، لكن قولت آخد لفة في السوق وبعدين أرجعلها، كنت عايز اتجول في السوق اكتر واعرف الحاجات اللي بتتباع، الموضوع كان بالنسبالي مدهش وعجيب جدا، أنا آه شوفت عجايب كتير في عالم الجن بس السوق دا حرفيا كان من الأماكن اللي زرتها ومستحيل أنساها..

وأنا ماشي بين الدكاكين، وقعت عيني على مكتبة صغيرة متستخبية بين خيمتين، رفوفها معمولة من خشب أسود، وعليها عشرات الكتب والمخطوطات الملفوفة بجلود قديمة، وكل كتاب عليه قفل مختلف أو ختم شمع بلون غير التاني!

قولت في نفسي خلاص أنا وصلت هنا ومش هلف تاني وقررت أبص على عناوين الكتب وألمسها خصوصا إنها كانت كتب قديمة جدا وورقها أصفر باهت ودا في حد ذاته بيزود هرمون السعادة عندي بمجرد ما ألمسه..

مديت إيدي على أول كتاب قابلني، لكن العجوز اللي قاعد ورا الرفوف قال من غير حتى ما يرفع عينه: دا مش ليك!

سحبت إيدي بسرعة وانتبهت لوجوده، مكنتش واخد بالي منه أساسا، كان جني عجوز، دقنه واصلة لصدره، وعينيه بيضا بالكامل، وبينضف غلاف كتاب بقطعة قماش كأنه بينضف جوهرة نادرة..

فضلت أقلب بين الكتب لحد ما لقيت واحد غلافه من جلد بني غامق، ومكتوب عليه بحروف بارزة، جواهر البيان في تسخير الجان..

أول ما لمسته، حسيت بسخونة خفيفة سرت في إيدي، كأن الكتاب عرفني قبل ما أعرفه!

فتحته، لقيت أول صفحاته مليانة رموز ورسومات لدوائر وأختام غريبة، وفي الهوامش تعليقات بخطوط مختلفة، كأن أكتر من واحد كتب فيه على مدار مئات السنين..

رفعت راسي وبصيت للعجوز وسألته: بكام؟

ابتسم وقال: خمس سنين..

سألته خمس سنين إيه؟

قال ببساطة خمس سنين من عمرك..

قفلت الكتاب بهدوء عشان ميبانش إني مهتم بيه مع إن اهتمامي كان واضح جدا في نظرة عيني واللي أكيد هو لاحظها عشان كدا قال سعر كبير، حطيت الكتاب مكانه وقولت بهدوء خمس سنين على كتاب كتير جدا..

العجوز هز كتفه بشكل محترف وكإنه مش هيفرق معاه إذا باع الكتاب ولا لا وقال خلاص يبقى متشتريش..

بصيت للغلاف وسكت شويه وقولت من غير ما ابص للعجوز: هشتريه بسنة..

ضحك لأول مرة ضحكة خفيفة حقيقية وقال باستعجاب سنة! ده آخر نسخة موجودة من الكتاب وصاحبه مات من أكتر من ألف سنة..

قولت وأنا بحاول أمسك أعصابي: يبقى سنتين..

العجوز بصلي كام ثانية وقال تلات سنين وآخر كلام..

كنت لسه هرد لكن مرهوب اتدخل وهو بينحنى على ودني وقالي بصوت واطي: متستعجلش، أول سعر في السوق مش دايما بيكون السعر الحقيقي، اصبر شوية يمكن تلاقي حاجه أحسن وبسعر أقل..

مخدتش على كلام مرهوب لإن الكتاب كان دخل دماغي فعلا مع إني مش محتاج تسخير الجان في حاجه بس كنت حابب أقراه جدا، كل كتاب في عالم الجن بيكون جواه تفاصيل صغيرة ممكن سحرة كبار ميكونوش عارفينها، ودا كمان مكتوب فيه بعض الهوامش بخط اليد يعني أكيد هلاقي ذكرى هنا ولا هنا..

بصيت للعجوز وقولتله ها سنتين حلوين، قول موافق..

لكنه رد عليا بكل هدوء وقال اتكلم براحتك، بس كل دقيقة بتفكر فيها فيه غيرك ممكن ييجي ويشتري الكتاب..

مكانش قدامي حل غير إني أوافق على تلات سنين، هيحصل فيهم إيه يعني؟ كل ما الواحد عمره بيقل كل ما يكون أحسن له، فيها إيه الدنيا عشان نتمسك بيها كل دا!

مكملتش ثانيتين بعد كلمته الأخيرة وقولت موافق..

العجوز ابتسم ابتسامة رضا ممزوجة بخبث ووقف من مكانه وقال موافق..

مد إيده الشمال للكتاب ومسكه وحطه في إيدي اليمين، وإيده اليمين حطها فوق جبهتي وبدأ يسحب تلات سنين من عمري تمن الكتاب..

رجعنا من سوق الجن بعد ساعات طويلة من المشي والغريب إن أول ما خرجنا منه بصيت ورايا ملقيتلوش أي أثر!

لا خيمة ولا مشعل ولا حتى آثار أقدام، زي ما يكون المكان كله ابتلع نفسه ورجع مجرد صحرا فاضية، بصيت لجرموق وسألته "إحنا خرجنا منين؟ "

قال وهو مكمل طريقه "لو فضلت واقف تبص لورا أسبوع كامل، عمرك ما هتعرف منين دخلت ولا منين خرجت، السوق بيختار اللي يشوفه، ولما تمشي منه بينساك"

ساعتها بصيت للكتاب اللي كنت ضامه لصدري، وافتكرت إني دفعت فيه تلات سنين من عمري، ولأول مرة حسيت إن اللي في إيدي لازم يكون يستاهل العمر اللي راح، تلات سنين من العمر مش تمن قليل، جايز يكونوا هقضيهم في مرض مثلا من الأمراض اللي بتلازم الشيخوخة، وجايز اقضيهم في صحة وسعادة وسط أحفادي، أحفادي!

سألت نفسي ساعتها أنا ليه لحد دلوقتي متجوزتش؟

عشان يكون لي أحفاد لازم يكون لي أبناء!

مراتي هتوافق إنها تتجوزي حد زيي؟ ولا اتجوز عادي بدون ما احكيلها سري! بس كدا هيكون خداع من البداية ووارد تعرف بعد شهر أو سنة من الجواز وتحصل مشكلة!

طب لو حكيتلها من البداية ووافقت، ممكن الجن يأذي حد من عيالي عشان ويهددني بيهم مثلا؟

أمواج من الأسئلة جات في بالي وخلتني اكلم نفسي في سري، نسيت أنا جاي منين ورايح فين، لحد ما انتبهت للكتاب الي في إيدي، لمست غلافه الجلد بإيدي، الجلد كان خشن ومتشقق من الأطراف، لكن كل ما ألمسه كنت أحس بدفء خفيف، كأن حد ماسكه قبلي بدقايق، مع إن البائع أكدلي إن آخر مرة الكتاب اتباع فيها كانت من عشرات السنين، حاولت أفتحه أكتر من مرة، لكن مرهوب كان كل شوية يقولي "استنى لما نرجع الكتب القديمة بتحب الهدوء"

كنت فاكره بيهزر، لكنه نبرته كانت فيها جدية خلتني أقتنع بكلامه وانتظر لحد ما اوصل لمكان هادي افتح فيه الكتاب..

رجعنا للمكان اللي سبت فيه العربية، ركبت ورجعت لمكان شغلي، القمر ليلتها كان واضح جدا والنجوم بتلمع وأغلب العمال ناموا بعد يوم طويل وشاق كالعادة، دخلت خيمتي وحطيت الكتاب على الطرابيزة الصغيرة بتاعتي، ولعت المصباح وقعدت قدامه كأني قاعد قدام صندوق كنز..

فتحت الغلاف الأول بهدوء، وأول حاجة خرجت منه كانت ريحة غريبة، الريحة دي عمري ما شميتها قبل كده، مكانتش زي ريحة ورق الكتب ولا المخطوطات القديمة اللي شوفتها في حياتي، كانت زي ريحة مكان مقفول من مئات السنين واتفتح، ريحة تراب وبخور، وحاجة تانية مش عارف أوصفهالكوا..

قلبت أول صفحة، اسم الكتاب مكتوب بخط كبير، جواهر البيان في تسخير الجان، ومكتوب تحت العنوان بخط صغير "نسخت هذه الأوراق عن أصل أقدم لا يعلم ناسخه"

وبعد كام صفحة بدأت ألاحظ حاجة غريبة! الكتاب كله مكتوب بخط واحد، منظم وجميل، لكن الهوامش كانت مليانة كتابات بخطوط مختلفة، مرة الخط رفيع ومرة عريض، ومرة الحبر أسود ومرة بني باهت، كأن الكتاب فضل يتنقل بين ناس كتير، وكل واحد فيهم ساب أثره قبل ما يسيبه للي بعده..

"يا ترى الكتاب كان بينتقل من شخص للتاني إزاي؟ " سألت نفسي..

وقفت عند أول تعليق مكتوب في الهامش، كان بخط صغير جدا لدرجة إني قربت المصباح من الكتاب عشان اعرف اقراه، كان مكتوب "من نقل هذا الباب أخطأ في السطر السابع والكلمة الصحيحة هي العهد وليس الوعد، وقد دفعت ثمن هذا الخطأ سبعة رجال"

سرحت مع الجملة شوية بعدها لقيت نفسي بروح للسطر السابع وأقارن بين الكلمتين واشوف أنهي واحده الصح فيهم، وقتها حسيت إن التعليقات اللي في الهوامش جايز تكون أهم من الكتاب نفسه، لأنها أكيد بتحكي تجارب اللي اتعاملوا مع الكتاب وطبقوا الموجود فيه..

كملت تقليب، وبعد عشر صفحات تقريبا لقيت تعليق تاني، لكن الحبر كان أغمق، والخط مختلف تماما عن التعليق الأول، وكأن اللي كتبه كان مستعجل، قريت مكتوب

"لو كنت تقرأ هذا الكتاب بعد سنة ثلاثمائة، فلا تبحث عن البئر المذكورة في الفصل الثامن 'لقد سبقوك إليها، وما بقي فيها لا يصلح للبشر ولا للجان"

ضحكت بيني وبين نفسي وقلت اللي كتب التعليق ده كان فاكر إن حد هيقرأ كلامه بعد مئات السنين فعلا، لكن وأنا بقفل الصفحة، وقعت عيني على تاريخ صغير جدا مكتوب تحت التعليق، لو التاريخ ده صح يبقى الراجل اللي كتبه مات من أكتر من ألفين سنة!

حواجبي اترفعت غصب عني من الدهشة..

كملت تقليب وأنا ببحث عن الهوامش اللي الناس كاتباها وطنشت الكلام الأصلي الموجود في الكتاب..

قريت تعليق كمان عجبني بيقول:

"الكاتب بالغ في وصف قبيلة السمران، وقد جاورتهم سبع سنين، فما رأيت منهم ما ذكر"

ابتسمت غصب عني وقولت حتى في كتب الجن فيه ناس بتصحح للمؤلف!

بعد كام صفحة لقيت كلمة متشطبة عليها بعنف، وتحتها مكتوب

"إن قرأت هذا الباب ولم تفهمه فلا تحاول تطبيقه، لقد ظننت أني فهمته وكانت تلك آخر ليلة"

الجملة كانت قصيرة، لكنها خلتني أقفل الكتاب للحظة، وتساءلت..

مين الراجل ده؟

وإيه اللي حصله بعد الليلة دي؟

حاولت اتناسى الموضوع وكملت تقليب في الكتابة لحد ما حصلت حاجه عجيبة جدا، فجأة وأنا بقرا في باب مواثيق القبائل حصلت لمعة كدا في الصفحة وبدأ كلام يظهر وهو بيتكتب كلمة كلمة، الكلام مكانش موجود من البداية ولما وقفت على الصفحة بدأ يتكتب كأنه يقصدني أنا، أو اللي كتبه كان شخص قوي ووسمه بطلسم إنه ميظهرش غير لشخص قوي زيه، لأنه بالمنطق مستحيل يكون قاصدني أنا بالذات!

بدأت أقرا الكلام وهو بيتكتب كلمة كلمة

"شهدتُ بنفسي سجن الجني المسمى سلهب، وجُعل قبره في الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس، فإن تبدلت أحوال القبائل، فلعله أحق بالخروج ممن حبسه"

حطيت علامة على الصفحة دي ورجعت أقلب الصفحات بسرعة يمكن ألاقي اسم سلهب في أي مكان تاني، أو حتى إشارة للمقبرة دي، لكن ولا كأن الاسم اتكتب في الكتاب قبل كده!

قلبت من الأول للآخر وأنا ببحث بعيني بسرعة، ورجعت من الآخر للأول، مفيش أي ذكر ليه، كأن اللي كتب التعليق ده كان متعمد يسيب رسالة لشخص هيجي بعده، مش مجرد يصحح معلومة في الهامش!

قفلت الكتاب وأنا سرحان، وقولت لنفسي لو سلهب دا كان خطر للدرجة اللي تخلي القبائل كلها تحكم عليه بالسجن الأبدي، ليه محدش خصص له ولو سطر واحد في الكتاب؟ ولو كان مجرم فعلا ليه صاحب التعليق ختم كلامه بالجملة دي؟

فتحت الكتاب مرة تانية يمكن ألاقي معلومة تدلني على مكان سلهب أو معلومة تعرفني طبعه أو قبيلته أو أي حاجة عنه، عقلي كان رافض إن المعلومة دي تكون الوحيدة من نوعها ومش مربوطة بأي معلومة تاني جوه الكتاب، وبالصدفة الكتاب اتفتح على نفس الصفحة اللي قفلته عليها واتفاجئت لما لقيت الجملة اتغيّرت!

"شهدتُ بنفسي سجن الجني المسمى سلهب، وجُعل قبره في الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس، وأُخذ علينا العهد ألا يُرفع عنه الختم ما دامت القبائل على عهدها، فإن جاء زمان تبدلت فيه الأحوال، واختلفت فيه كلمة القبائل، فلعل سلهب أحق بالخروج ممن حكموا عليه"

قريت الجمل الأخيرة اللي اتبدلت، قريتهم أكتر من مرة وفي كل مرة كنت بكتشف حاجه جديدة، أولا مفيش مانع لو قدرت احرر سلهب، ثانيا أكيد اتظلم أو كان ضحية خطأ مش

مقصود وإلا الكاتب مش هيحاول ينصفه، ثالثا والأهم إنها مغامرة جديدة بالنسبالي ولازم أخوضها..

قعدت على الكرسي وأنا حاطط الكتاب قدامي، وبقيت أقلب الصفحة اللي فيها التعليق يمين وشمال، الخط كان قديم، والحبر باهت، لكن الغريب إنه مختلف عن كل التعليقات اللي قبله، ده مش خط واحد كان بيصحح معلومة أو بيعترض على المؤلف، ده خط واحد كان بيحاول يسيب شهادة..

قفلت الكتاب بهدوء وأنا لسه باصص على الهامش، وحسيت إني لو فضلت أقراه ألف مرة مش هفهم هو مين اللي كتب الكلام دا؟ ومين سلهب؟ وفين مكان؟

فضلت ساكت شوية وبعدين استدعيت جرموق، ظهر قدامي وهو بيتمطى وسألني وهو مبتسم " لحقت تخلّص الكتاب في ساعة؟ "

مقولتش حاجة، مدّيت الكتاب ناحيته وقلتله، اقرأ الهامش ده..

أخده مني وهو مش مهتم، لكن أول ما عينه وقعت على اسم سلهب، الابتسامة اختفت بالتدريج من على وشه وعينه بتتحرك بين باهتمام..

فضل واقف مكانه شوية، بيقرأ السطور ببطء، وبعدها رجع يقراها من الأول مرة تانية، كان واضح إن الخبر مفاجئ ليه، وإنه يعرف الحادثة دي ويمكن كان شاهد عليها زي الراجل اللي كتبها..

في اللحظة دي ظهر مرهوب، وبمجرد ما شاف وش جرموق عرف إن فيه حاجة مش طبيعية، قرب منه وخطف الكتاب من إيده وهو بيسأله "مالك؟ "

لكن جرموق مردش...

مرهوب بدأ يقرأ الهامش، وكل ما ينزل بعينه سطر، ملامحه كانت بتتغير هي كمان، ولما وصل لآخر جملة قفل الكتاب مرة واحدة وحطه على الترابيزة وقال وهو باصص لجرموق

"أنا افتكرت إن كل النسخ اللي مذكور فيها سلهب ده اتحرقت! "

جرموق هز راسه وقال بهدوء "واضح إن دي كانت آخر نسخة"

بصيتلهم بعد ما بدأت أفقد صبري وقلتلهم هو أنتوا هتفضلوا تتكلموا بالألغاز؟ مين سلهب ده؟

الاتنين سكتوا، ولا واحد فيهم رد..

كررت السؤال تاني، بس المرة دي بصوت أعلى، لكن جرموق هو اللي اتكلم أخيرا وقال

"فيه أسماء في عالمنا، مجرد إنك تعرفها بيخليك طرف في حكايتها، وسلهب واحد من الأسماء دي"

استغربت وسألته يعني إيه الكلام ده؟ هو جني ولا ملك ولا إيه بالظبط؟

مرهوب رجع خطوة لورا وهو بيبص من باب الخيمة وقال

"كان جن، لكن مش زي باقي الجن"

حسيت إن كلامهم بيزود الغموض بدل ما يكشفه، فتحت الكتاب من تاني على نفس الصفحة، يمكن ألاقي حاجة جديدة ظهرت، أو حتى كلمة اتغيرت زي اللي حصل أول مرة، لكن الهامش كان زي ما هو، نفس السطور، نفس الحبر الباهت، ونفس اسم سلهب اللي بقى عامل زي الشوكة في دماغي..

فضلت أبصله شوية، لحد ما لفت نظري إن آخر نقطة في آخر سطر مكانتش نقطة عادية، كانت أكبر من باقي النقط بشوية، كأن اللي كتبها ضغط بالقلم زيادة عن اللزوم، قرّبت الكتاب من وشي، ومديت صباعي ألمسها، لكن قبل ما أوصلها، جرموق مسك إيدي بسرعة وقالي "اوعى"

بصيتله باستغراب وقلت، إيه؟

قال وهو لسه ماسك دراعي "دي مش نقطة، دا ختم"

مرهوب قرب هو كمان، وقعد يبص في الصفحة ثواني، وهز راسه تأكيدا على جملة جرموق الأخيرة..

قلتله بعد ما بدأت أتوتر، يعني إيه ختم؟

جرموق ساب إيدي، وأخد نفس طويل، وقال "اللي كتب الهامش مكانش بيسيب شهادة وبس كان بيسيب مفتاح، محدش يقدر يشوفه غير اللي الكتاب اختاره"

أنا استغربت وسألته "يعني الكتاب اختارني أنا؟ "

هز كتفه وقال "معرفش، الكتب القديمة مبتجاوبش على الأسئلة"

مديت إيدي تاني ناحية الصفحة، المرة دي جرموق مسكهاش، أول ما طرف صباعي لمس النقطة، حسيت بحرارة خفيفة طلعت من الورق، وبعدها النقطة بدأت تكبر قدام عينينا، والحبر انتشر ببطء، مش بشكل عشوائي، كان بيرسم خطوط دقيقة جدا، لحد ما ظهر شكل دائرة، وفي نصها رمز غريب، وتحت الرمز اتكتبت جملة مكانتش موجودة من ثواني

من أراد أن يبلغ مقبرة سلهب، فليحمل الكتاب معه، وليقف عند أول جبل يسبق شروق الشمس، ثم يقرأ العهد ثلاث مرات، فإن كان صادق النية أُزيح عنه الحجاب

سكتنا إحنا التلاتة، ولا واحد فينا نطق

أنا أول واحد كسر السكوت، بصيت ناحية جرموق وقلت "يعني المقبرة لسه موجودة؟ "

مرهوب رد قبل ما جرموق يتكلم.

"المقبرة موجودة، لكن محدش يعرف يوصلها"

ابتسمت وأنا بقفل الكتاب وقولت، يبقى نجرب!

جرموق بصلي نظرة طويلة، النظرة دي أنا عارفها كويس، نفس النظرة اللي كان بيبصهالي كل مرة أقرر أعمل حاجة هو شايف إنها هتوديني للهلاك..

قال وهو بيبصلي نظرة طويلة

"أنا مش هقولك متروحش لأن لو الكتاب اختارك يبقى فيه سبب، لكن اعرف إن الطريق اللي هتمشي فيه ده محدش من الجن اللي عايشين النهارده يعرف نهايته"

استغربت من كلامه وسألته يعني إيه محدش من الجن يعرف نهايته، أمال ليه كل التحذيرات دي كلها والخوف اللي بتحاولوا تزرعوه فيا، انتوا مش عارفين اسم سلهب وقصته وإن له مقبرة محبوس فيها؟

هز راسه بالنفي وقال "إحنا نعرف الحاجات دي ونعرف المقبرة ونعرف إنها موجودة ونعرف اسم الجبل، لكن الطريق ليها عمره ما كان ثابت، المقبرة كانت بتتنقل من مكان لمكان كل كام سنة، ودا مش بإرادة حد، دي كانت واحدة من الأحكام اللي اتحطت عليها يوم ما اتقفل

بابها، علشان كده محدش قدر يوصلها من وقتها، وحتى اللي كان يعرف مكانها وميعرفش يفتحها لما يرجعله بعدها بسنين، يلاقي المكان فاضي كأن المقبرة عمرها ما كانت هناك! "

بصيت للكتاب اللي في إيدي وقلت أمال الجملة اللي ظهرت دي معناها إيه؟

جرموق مد إيده وخد الكتاب، وقربه من وشه وهو بيقرأ السطور مرة كمان، وبعدها قال بهدوء

"معناها إن اللي كتب الهامش كان أذكى من اللي حكموا على سلهب، هو عارف إن اليوم ده هييجي، وعارف إن هييجي شخص قوي هيحاول يعرف الحقيقة بنفسه، علشان كده ساب مفتاح الوصول جوه الكتاب"

مرهوب ابتسم، والاندفاع والتهور اللي متعود عليهم منه شوفتهم بيلمعوا في عينه وهو بيقول "واضح إن رحلتنا الجاية اتحددت"

أخدت الكتاب من على الطرابيزة وأنا متأكد إن لسه فيه سر مخبيه، وفتحته تاني على نفس الصفحة، لكن المرة دي الهامش اختفى تماما وظهر مكانه سطر واحد بس مكتوب بحبر لونه أزرق غامق..

"ومن أراد الوصول إلى المحبوس، فليتبع الأرض كما كانت لا كما صارت"

بصيت للجملة وأنا مش فاهم معناها، رفعت عيني ناحية جرموق ومرهوب، لكن الاتنين كانوا واقفين ورايا ومنحنيين ناحية الكتاب وباصين فيه بنفس التركيز، كأنهم هما كمان مستنيين حاجة تحصل..

وفجأة!

الورق بدأ يصدر صوت خفيف، كأنه بيستعد، والحبر الأسود اللي كان مالي الصفحة بدأ يتحرك ببطء، السطور اتفككت من أماكنها، والحروف جريت فوق الورقة كأنها أسراب نمل، وكل كلمة كانت بتسيب مكانها وتروح لمكان تاني، لحد ما الصفحة كلها بقت مزحومة، وبعدها الخطوط بدأت تترص وتتكون قدام عينينا، خط ورا التاني، ومن غير ما حد يلمسها، اتولدت خريطة كاملة فوق الورقة!

لكنها مكانتش خريطة من الخرايط اللي أعرفها، يعني مفيهاش كلمة مصر ولا السعودية ولا روسيا مثلا، كل الأسماء كانت غريبة ومكتوبة بخط عربي قديم، بعضها أعرفه من كتب التاريخ، وبعضها أول مرة أشوفه!

فضلت أتتبعها بعيني لحد ما وقفت عند كلمة كبيرة مكتوبة في أقصى الشمال

(بلاد النرمان)

وتحتها مباشرة عبارة عن جزيرة طويلة مرسومة بالحبر الأحمر، وحواليها عشرات الجزر الصغيرة، وعلى واحدة منها علامة سوده كإشارة على إن سلهب موجود هناك..

بصيت لجرموق وسألته، بلاد النرمان؟

هز راسه وقال "ده الاسم اللي كان البشر بينادوا بيه المنطقة دي وقت ما الكتاب ده اتكتب"

مرهوب قرب أكتر، وحط صباعه فوق الجزيرة، وقال "بص هنا كدا"

ولما بصيت لقيت مكتوب بخط أصغر (أرض سفالبارد)

قولت لنفسي، سفالبارد!

ابتسم جرموق وقال "واضح إن الكتاب بيحدث معلوماته على قد اللي تستحق تعرفه، الاسم القديم ظهر الأول، ولما عرف إنك مش هتفهمه، كتب الاسم اللي البشر بينادوا بيه دلوقتي"

رجعت أبص للخريطة، لكن اللي شد انتباهي مكانش اسم الجزيرة، كان الجبل نفسه!

كان مرسوم بلون أسود، وسط اللون الأبيض، وتحته عبارة قصيرة خلت الدم يجري في عروقي والأدرينالين يرتفع لأقصى درجاته

"الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس وما تحته ليس للأحياء"

بصيت ناحيتهم وأنا لسه ماسك الكتاب وسألتهم يعني هنسافر لسفالبارد إزاي دلوقتي؟ إحنا في قلب الصحرا وشدام مش موجود، كان بينقلني لأي مكان في لحظة..

ابتسم مرهوب ابتسامة خفيفة وقال وهو بيقفل باب الخيمة وبيبعد شوية لحد ما وقف في منتصفها تماما، هو أنت فاكر إن شدّام بس اللي عنده القدرة دي؟

بصيتله باستغراب وقلت أمال مين تاني عنده القدرة دي؟

رفع عينه ناحيتي وقال بهدوء "أنا، بس قدرتي هي طي الأرض مش الانتقال الآني"

ضيّقت عيني وأنا بفكر في كلامه، راح جرموق قال "دي قدرة قديمة اتمنعت عن أغلب قبائل الجن من مئات السنين ومبقاش يقدر يستخدمها غير عدد قليل جدا لأنها بتستهلك قوة مهولة وكل ما كانت المسافة أبعد كان الثمن أكبر"

مرهوب مد إيده ناحيتي وقال "امسك فيا كويس ومتسيبنيش لأي سبب مهما حصل"

وقفت وراه وأنا لسه مش مستوعب اللي هيحصل وبعدها لفيت دراعاتي حوالين كتفه ورقبته زي ما طلب مني، فابتسم وقال "لا كده هتقع امسك فيا بكل قوتك ولو حسيت إن جسمك بيتشد متقاومش"

نفذت كلامه وبعدها الاتنين بصوا لبعض، وفي اللحظة اللي جرموق حط كفه على ضهر مرهوب الدنيا كلها سكتت مرة واحدة، لا صوت هوا ولا صوت حشرات ولا حتى صوت نفسي، وكل اللي حوالينا بدأ يتشوه كأن المكان بيدوب قدام عينينا، الرمال اتلّمت حوالينا في دوامة ضخمة لحد ما مبقاش ظاهر غير لون دهبي بيلف بسرعة مرعبة!

حسيت إن الأرض حد شدّها من تحت رجلي، وإن جسمي بقى أخف من الهوا، وبعدها بدأت أشوف لمحات سريعة قدام عيني، صحاري وبحار ومدن وأنهار وجبال كلها بتعدي في أقل من طرفة عين، كأن العالم كله بيتقلب قدامي صفحة ورا صفحة، ومكنتش قادر أميز أي حاجة غير إن السرعة كانت أكبر من أي حاجة ممكن يتخيلها عقل بني آدم، وفجأة كل حاجة وقفت!

الهدوء رجع تاني لكن المرة دي كان هدوء مختلف!

حسيت بهوا بارد بيخبط في وشي كأنه شفرات تلج، وريحة البحر مالية المكان، واللون الأصفر اللي متعود أشوفه في الصحرا اختفى تماما وحل مكانه لون أبيض ممتد لحد آخر الأفق..

فتحت عيني بالكامل وبصيت حوالي وأنا مش مصدق اللي بشوفه، جبال مغطية بالثلج وضباب بيتحرك بين القمم وبحر أسود بعيد كأنه ملوش نهاية!

مرهوب سابني بهدوء وقال وهو بياخد نفس طويل من شدة التعب "وصلنا"

بصيتله وقلت وأنا لسه مذهول، دي سفالبارد!

جرموق هز راسه وقال "لأ، دي بداية سفالبارد، أما الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس فلسه مستنينا"

وقفت مكاني وأنا ببص حوالي كأني أول مرة أشوف الأرض بعيني، مكنش فيه أي حاجة من اللي اتعودت عليه في الصحرا، لا رملة ولا صخرة سخنة ولا حتى ريحة التراب اللي كنت حافظها، كل اللي حواليا كان أبيض بشكل يخوف، جبال مغطية بطبقات تلج سميكة، وسحب منخفضة ماشية بين القمم لدرجة إنها كانت بتخفي جبل وتظهر التاني كل شوية، والهوا كان بارد بطريقة عمري ما حسيت بيها قبل كده، كل نفس كنت باخده كان بيحرق صدري بدل ما يدفيني..

مديت إيدي ألمس الأرض تحت رجلي، فكانت متجمدة كأنها حجر، سحبت إيدي بسرعة وأنا ببص لمرهوب وقلتله أنا مش مصدق إننا قطعنا المسافة دي كلها في أقل من دقيقة، ابتسم وهو بيبص للجبال وقال "المسافات دي كبيرة على البشر لكن الأرض نفسها مبتفرقش معاها إذا كنت هتمشي عليها خطوة ولا عشرة آلاف كيلو"

طلعت الكتاب من صدري وبصيت جوه الخريطة وأنا بحاول أقارن اللي قدامي باللي مرسوم عليها، وكل ما ألف ناحية جبل ألاقي جبل شبهه، لحد ما جرموق قرب مني وأخد الكتاب من إيدي، وقف يلف بيه ببطء مع اتجاه الريح، وبعدها ثبت فجأة وهو بيبص لقدامه من غير ما ينطق ولا كلمة، بصيت ناحية المكان اللي باصص فيه، لكن كل اللي كنت شايفه سلسلة جبال طويلة بيضا مفيهاش أي حاجة مختلفة!

سألته أنت شايف إيه بالظبط؟

رفع صباعه ناحية جبل بعيد وقال "شوف القمة دي كويس"

ركزت فيها شوية، وفي الأول ملاحظتش أي حاجة، لكن بعد ثواني بدأت أستوعب إن الجبل ده مختلف عن باقي الجبال، قمته كانت سودا بالكامل، لا عليها تلج ولا حتى طبقة جليد رفيعة، زي ما يكون التلج نفسه بيرفض يقرب منه!

فضلت باصص عليه وأنا حاسس بقشعريرة غريبة، ومع كل ثانية كانت السحب تتحرك حواليه لكنها مبتغطيهوش أبدا!

بالعكس، كانت تلف حواليه في دوايرٍ وتسيبه ظاهر كأنه مركز العالم كله، مرهوب خد الكتاب من جرموق وحطه صفحة الخريطة قصاد الجبل وهو واقف، وبعدها قال بهدوء

"هو ده مفيش غيره نفس ميل القمة ونفس الكسر اللي في الناحية الشرقية، حتى الصخور اللي حواليه مرسومة زي ما هي، الكتاب مكانش بيبالغ ولا بيحكي أسطورة، اللي رسم الخريطة شاف الجبل بعينه وواضح إنه رسام ماهر"

كنت لسه هتحرك في اتجاه الجبل، لكن جرموق حط إيده على صدري ووقفني، بصيتله باستغراب، فقال وهو مركز في الأفق "استنى، فيه حاجة غلط! "

بصيت حواليا ومفهمتش يقصد إيه! قلتله إيه اللي غلط؟

رد من غير ما يبصلي "حوالينا"

أنا سكت شوية وأنا بحاول أفهم، وبعدها استوعبت اللي يقصده، المكان كله كان ساكت بشكل مرعب، مفيش صوت هوا رغم إن الضباب بيتحرك، مفيش صوت طيور ولا حيوان ولا حتى صوت تلج بيتكسر تحت رجلينا، كأن المنطقة دي متشالة من الزمن!

مرهوب نزل على ركبة واحدة، وحط كفه على الأرض المتجمدة، وقفل عينه ثواني، ولما فتحها بص ناحية جرموق وقال بصوت واطي "وصلنا متأخر"

اتوترت وسألته، متأخر على إيه؟

قالي وهو بيقوم ببطء "الحجاب بدأ يقفل"

أول ما قال الجملة دي الجبل الأسود اللي قدامنا بدأ يختفي قدام عينينا بالتدريج، مش لأنه بيتحرك لكن لأن الضباب الأبيض بدأ يطلع من الأرض نفسها ويغطيه طبقة ورا طبقة، كأن المكان كله بيحاول يخبيه من أي حد جاي يدور عليه، وخلال ثواني قليلة اختفت القمة بالكامل، وبقى قدامنا مجرد جدار أبيض ملوش أول من آخر، ولو مكنتش شايف الجبل من لحظات، مكنتش هصدّق إنه كان موجود أصلا!

فضلت واقف مكاني وأنا ببص للضباب اللي بلع الجبل بالكامل، وبصراحة للحظات حسيت إن اللي شوفناه قبل كده كان مجرد وهم جماعي وإن الجبل مكانش موجود من البداية، لكن مرهوب كان أسرع مننا كلنا، اندفع ناحية المكان اللي كان واقف فيه الجبل ومد إيده اللي بدأت تطول قدامه كأنه بيحاول يلمس حاجة مش موجودة أو يلحق حاجه قبل ما تختفي..

صرخت فيه؟ استنى رايح فين لكنه مردش عليا..

راح يجري وسط الضباب كأنه شايف طريق محدد أنا مش قادر أشوفه، بصيت لجرموق وسألته هو بيعمل إيه؟

قال لي "بسرعة متسيبوش لو دخل جوه الحجاب مش هنعرف نرجعه"

جريت وراه أنا وجرموق وأنا مش شايف قدام رجلي أكتر من خطوتين، البرد كان بيزيد مع كل متر بندخله، لحد ما سمعت صوت مرهوب قدامي وهو بيصرخ "ارجعوا حالا"

وقفت مكاني أنا وجرموق مع بعض وفي نفس اللحظة، بصيت قدامي لكن الضباب كان كثيف لدرجة إني مش شايف غير كتلة بيضا متحركة، وبعد ثواني ظهر مرهوب من وسطها وهو راجع ناحيتنا وملامحه كانت متغيره، سألته في إيه؟

فقال وهو بيبص وراه "الجبل اختفى! "

قلتله ما إحنا عارفين إنه اختفى..

قال "لأ أنت مش فاهم، أنا أقصد إيه الجبل نفسه اختفى من المكان، مش مستخبي في الضباب، الأرض اللي كان واقف عليها فاضية، مفيش لا صخور ولا تلج ولا حتى أثر لوجوده، كأن حد شاله من هنا وحطه في مكان تاني"

جرموق قرّب منه وسأله "شفت إيه جوه؟ "

مرهوب سكت ثواني وبعدين سرح بعقله كأنه بيفكر في شيء محيّره..

سألته أنا بسرعة، إيه اللي شوفته؟ لكنه مردش عليا وبدل ما يجاوبني بص ناحية الكتاب اللي كان لسه في إيدي وقالي "افتح الكتاب كدا تاني"

فتحته وأنا مش فاهم هو عايز إيه، وكانت الخريطة لسه في نفس الصفحة والجبل الأسود لسه مرسوم في مكانه، لكن اللي اتغير إن اللون الأسود بدأ يخف بالتدريج، وبعدها ظهر مكانه خط رفيع جدا بيتحرك فوق الورقة، نفس الخط اللي كان بيمثل الطريق بيننا وبين الجبل، لكن المره دي الخط خرج من الخريطة نفسها، امتد لحد طرف الصفحة، وبعدها وقف عند علامة صغيرة مكنتش موجودة قبل كده، كانت عبارة عن دائرة مفتوحة من ناحية واحدة!

جرموق قرب من الكتاب وقالي بصوت واطي "افتح الدائرة"

بصيتله وسألته أفتحها إزاي؟

رد من غير ما يبعد عينه عن الصفحة "أكيد مش هتفتحها بإيدك"

في اللحظة دي افتكرت الجملة اللي كانت مكتوبة تحت الجبل، ومديت إيدي وحطيت صباعي على كلمة سفالبارد، وبعدها قلت بصوت مسموع الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس وما تحته ليس للأحياء..

مفيش حاجة حصلت!

بصيت لجرموق باستغراب فقالي "عيدها تاني"

كررتها مرة تانية، وفي المرة التانية بدأ الكتاب يهتز تحت إيدي، مش اهتزاز قوي، لكنه كان كفاية يخلي الثلج اللي اتجمع على أطرافه يقع على الأرض، ولما قلت الجملة للمرة التالته حصلت حاجة عجيبة..

الضباب اللي حوالينا بدأ يتحرك عكس اتجاه الريح، كأنه بيتراجع قصاد شيء احنا مش شايفينه..

مكانش بيخف ولا بيتفرّق، كان بيتراجع كأنه بيتسحب للخلف بقوة هائلة، وفي ثواني قليلة ظهر الجبل من جديد، لكن مظهره كان مختلف، القمة السوداء ظهرت قدامنا أقرب من الأول بكتير، لدرجة إني حسيت إن المسافة اللي كانت بيننا وبينه اختفت، لكن الجبل نفسه مكنش واقف في مكانه اللي شوفناه فيه في المرة الأولى..

كان واقف قدامنا مباشرة!

ضخم لدرجة إن قمته اختفت وسط السما، وعلى امتداد واجهته السوده ظهرت خطوط طويلة مضيئة بلون أزرق باهت، خطوط بدأت من القمة ونزلت لتحت، وكلها كانت بتتجمع عند نقطة واحدة قدامنا!

مرهوب بص للعلامة وقال "هو ده المكان"

سألته مكان إيه؟

قال وهو بيبص للثلج تحت رجلينا "المكان اللي لازم نقف فيه"

بصيت تحت رجلي ومكنتش شايف غير طبقة تلج سميكة، لكن جرموق قرب مني وقال " خليك ثابت متتحركش"

وقبل ما أفهم قصده بدأت الأرض نفسها تذوب من غير ما تتحول لمية، التلج اختفى كأنه بيتسحب لتحت وظهر تحته صخر أسود أملس وفي نص الصخر كانت فيه دايره محفوره، نفس الدايره اللي ظهرت على الخريطة، لكن كان جواها سبعة رموز، ستة منهم مطموسين والرمز السابع كان مضيء بنفس اللون الأزرق اللي ظهر على الجبل!

قربت خطوة وأنا مستمتع وفي نفس الوقت مش قادر أصدق اللي شايفه!

لكن جرموق مسكني من كتفي وقال "استنى"

بصيتله وقلتله إيه تاني؟

رد وهو بيبص للرمز المضيء "أنا حاسس إن سلهب مش محبوس هنا"

بصيتله وأنا مش فاهم وقلتله أمال فين؟

رفع عينه ناحية الجبل وقال

المكان ده مش باب المقبرة، ده الطريق اللي بيفتحه"

وزي ما يكون الجبل كان سامعنا لأنه في نفس اللحظة فيي جرموق قال فيها جملته الأخيرة فجأة بدأ الصخر الأسود تحت رجلينا يصدر صوت عميق، صوت كأنه جاي من جوف الأرض نفسها، وبعدها ظهرت أول درجة سلم وسط الدائرة، كانت درجة واحدة بس ومصنوعة من نفس الحجر الأسود، نزلت لتحت واختفينا في ظلام ملوش نهاية..

وقتها فهمت إن الجبل اللي كنا بندور عليه مكنش مجرد جبل، وإن المقبرة اللي اتدفن فيها سلهب مكنتش موجودة فوق الأرض أصلا من البداية، كانت تحت الأرض..

لكن السؤال اللي جه في بالي وقتها، احنا هنفضل ننزل تحت الأرض لحد فين؟

مزلنا مسافة طويلة وأنا مش عارف قد إيه بالظبط لأن الوقت نفسه بدأ يتصرف بطريقة غريبة كل شوية كنت أبص في ساعتي ألاقي العقرب ثابت وبعدها فجأة ألاقيه اتحرك ساعات كاملة من غير ما احس بيها والدرجات كانت كلها شبه بعض كنت كل شوية أحاول أفتكر شكل المكان اللي عدينا منه لكن كل ما أبص ورايا ألاقي السلم اختفى في الضلمة وكأننا من أول ما نزلنا وإحنا ماشيين في اتجاه واحد ملوش نهاية..

بعد فترة طويلة فجأة وقف جرموق قدامنا ورفع إيده وقال "متتحركوش"

بصيت حواليا وأنا مش شايف أي حاجة غير السواد فسألته في إيه؟

لكنه حط صباعه على بقي وبعد ثواني سمعت صوت بعيد جدا جاي من تحتنا صوت خبطات منتظمة خبطتين وبعدها سكون خبطتين وبعدها سكون كأن حد بيخبط على باب من الناحية التانية مرهوب قرب من الحيط وحط إيده عليه وبعدها سحبها بسرعة وقال ده مش صوت جاي من تحتنا سألته أمال جاي منين؟ فقال "دا جاي من جوه الجبل"

وفجأة الخبطات توقفت، وفجأة بعدها سمعنا صوت خطوات جايه ناحيتنا، خطوة، بعدها خطوة تانية..

الصوت مكانش جاي من تحتنا ولا من فوقنا كان جاي من كل الاتجاهات في نفس الوقت!

جرموق شدني ناحيته ومرهوب وقف قدامنا، وأنا لأول مرة أشوف الاتنين واخدين الوضع ده، وضع الاستعداد..

وبعد لحظات ظهر شيء في آخر السلم، كان طويل جدا ونحيف بشكل غير طبيعي، شوفته على الرغم من الإضاءة الخفيفة جدا اللي ظهرت فجأة واللي مكنتش عارف مصدرها!

مشينا ناحيته لكن كل ما قربنا منه كان بيرجع لورا بنفس المسافة بالظبط، لحد ما جرموق قالي "متبصش في عينه"

بصيت بسرعة بعيد عنه وسألته هو إيه دا ولا مين دا؟

قالي "مش عارف. لكن لو كان عايز يقتلنا كان عملها من أول ما شافنا"

مرهوب قال وهو مركز في الضلمه "سيبوه"

وبعدها كملنا النزول والشيء ده فضل ماشي ورانا من غير ما يلمسنا ولا يقرب مننا، وكل ما نوقف كان يقف، وكل ما نتحرك كان يتحرك ورانا، لحد ما فجأة اختفى ومحدش فينا عرف اختفى امتى..

وبعدها بدقائق السلم انتهى..

آخر درجة نزلتها كانت على أرض صلبة ومسطحة، ولأول مرة من وقت ما دخلنا المكان ده حسيت إن فيه مساحة واسعة حوالينا، جرموق أشعل نار صغيرة في إيده ورفعها قدامنا وفي اللحظة دي ظهر المكان كله بشكل أوضح..

كنا واقفين في قاعة ضخمة محفورة داخل الجبل، سقفها كان بعيد لدرجة إني مش قادر أشوف نهايته، والأعمدة اللي حوالينا كانت ضخمة وكل عمود عليها نقوش لجن بأشكال مختلفة، بعضهم لابس تيجان وبعضهم ماسك أسلحة، وبعضهم راكع على الأرض، لكن كل الوجوه كانت متآكلة كأن حد تعمد يمسح ملامحهم من الحجر!

وفي آخر القاعة كان فيه باب، باب واحد بس، ضخم مغطى بسلاسة من الحجر ملفوفه حواليه من كل ناحيه..

وقفت وأنا ببصله وقلت هو ده؟

جرموق مردش، لكن مرهوب هو اللي اتكلم وقال "يمكن! "

بصيتله باستغراب وقلتله، يمكن؟

قربنا منه ببطء وكل خطوة كنا بنمشيها كان صدى صوتها بيتردد من جوانب القاعة كأن المكان كله بيراقبنا، ولما وصلنا قدام الباب لاحظت إن فيه سبع فتحات صغيرة على سطحه، كل فتحة على شكل رمز مختلف، ستة منهم كانوا مقفولين بحجر أسود والفتحة السابعة كانت فاضية!

جرموق مسك الكتاب من إيدي وفتحه على الخريطة وبعدها بص للرمز اللي في الصفحة وبص للباب كأنه بيقارن بينهم..

وبعدين قال

"الخريطة مكنتش بتدلنا على المقبرة، كانت بتدلنا على المفتاح! "

مديت إيدي ناحية الفتحة الفاضية لكن قبل ما ألمسها مرهوب مسك دراعي وقال "استنى"

بصيتله باستغراب..

قال "سلهب اتحبس هنا من زمن طويل واللي حبسه مكانش عايز حد يوصله"

قلتله بس إحنا وصلنا!

هز راسه وقال " لأ، إحنا لسه موصلناش للباب"

وفي اللحظة دي بدأ صوت عميق يخرج من وراه، صوت مبحوح وقديم لدرجة إن الحجر نفسه اتهز معاه..

وبعدها سمعنا كلمة واحدة

ارجعوا"

بصيت ناحية جرموق ومرهوب، ولأول مرة من بداية الرحلة ملامحهم هما الاتنين اتغيرت!

جرموق قرب من الباب وقال بصوت واطي "سلهب"

لكن الصوت اللي جاي من خلف الباب رد عليه "أنا لست سلهب"

وبعدها السلاسل الحجرية بدأت تتحرك ببطء فوق الباب، واحدة منهم اتكسرت، ثم التانيه، ثم التالته وقبل ما الباب يفتح بالكامل ظهر من الشق الضيق بين ضلفتيه ضوء أحمر خافت

ومن وراه صوت رخيم وعميق جدا، أعمق صوت سمعته في حياتي..

من منكم جاء يبحث عن سلهب"

سكتنا كلنا..

بصيت للباب وأنا حاسس إن كل الرحلة وكل اللي حصل من لحظة ما فتحت الكتاب لأول مرة كان بيقودني للحظة دي، فقولت بصوت مرتعش، أنا.

سكت الصوت للحظات وبعدها قال

إذن دخلت المقبرة الخطأ"

إذن دخلت المقبرة الخطأ!

فضلت واقف مكاني وأنا مش فاهم الجملة اللي سمعتها ولا عارف مين اللي بيتكلم من ورا بصيت لجرموق ومرهوب وأنا مستني واحد فيهم يشرحلي، لكن الاتنين كانوا ساكتين ووشوشهم متغيرة بطريقة مخلتنيش أحب أسأل حد منهم، وبعد لحظات طويلة اتكلم جرموق وقال بصوت واطي "احنا لازم نمشي من هنا قبل ما الباب يقفل"

وقبل ما أقدر أسأله ليه ظهر صوت تاني من جوه المقبرة وقال بصوت عميق "انتوا وصلتوا متأخرين قوي"

اتجمدت مكاني وبصيت ناحية الباب وسألت بصوت عالي، إنت مين؟

لكن مفيش رد جه غير صوت ضحكة قصيرة خرجت من جوه الظلام ضحكة متشبهش لا صوت الإنس ولا صوت الجن اللي قابلتهم قبل كده، مرهوب مد إيده قدامي يمنعني من التقدم وقالي "متسألوش أسئلة ملهاش لازمة"

لكن الفضول كان أقوى مني فقلتله، هو عارف إننا جايين هنا إزاي؟ وكمان مستني عشان يقولنا اتأخرنا!

جرموق رد وهو لسه مركز في الباب "لأنه كان مستني حد ييجي من زمان"

فجأة ظهر شيء في آخر الممر وسط الظلام كان مجرد ظل في البداية طويل ومائل بشكل غريب، وكل ما قرّب بدأ شكله يتضح لكن ملامحه فضلت مختفية، وقف على بعد خطوات من الباب وبص ناحيتنا من غير ما أشوف عينه أو وشه وبعدها قال "سلهب مش هنا"

قلتله إحنا عارفين..

رد بهدوء غريب "لأ إنتوا مش عارفين حاجة"

مرهوب تقدم خطوة وقال "إحنا جايين نعرف مكانه"

الظل سكت شوية وبعدها قال "المكان اللي بتدوروا عليه مش تحت الجبل"

جرموق قرب من الباب وقال "أمال فين؟ "

الظل رفع إيده وأشار ناحية الأرض تحت رجلينا وقال "تحت المكان اللي خرجتوا منه"

بصيت للأرض وأنا مش فاهم حاجة وقلتله، يعني إيه تحت المكان اللي خرجنا منه؟

لكن قبل ما يرد بدأت القاعة كلها تتهز، والباب الأسود اللي وراه اتفتح أكتر، وظهر من وراه ممر تاني مختلف عن الممر الأول، ممر جدرانه مغطاة بطبقة جليد لونها أسود، وفي نهايته كان فيه ضوء أبيض قوي لدرجة إني اضطريت أغمض عيني، وبعدها سمعت صوت الظل بيقول "لو عايزين توصلوا لسلهب لازم ترجعوا"

بصيت لمرهوب وأنا مش فاهم حاجه وسألته، نرجع فين؟

رد الظل "لأول مكان وطأت فيه أقدامكم الأرض"

في اللحظة دي فهمت إن الطريق اللي جابنا للجبل مكانش مجرد طريق، وإن المقبرة اللي كنا واقفين عند بابها كانت مجرد جزء من لغز أكبر، وإننا يمكن من أول لحظة وصلنا فيها لسفالبارد كنا واقفين فوق المكان الحقيقي من غير ما نعرف، لكن قبل ما أقدر أقول أي كلمة الباب بدأ يقفل والسلاسل الحجرية بدأت تتحرك من جديد، والظل رجع خطوة لورا وسط الظلام وهو بيقول بسرعة قبل ما الباب يتقفل بالكامل

لو عايزين تفتحوا قبر سلهب، لازم تعرفوا الأول مين اللي حبسه"

فضلت واقف قدام الباب وأنا بحاول أفهم معنى الجملة دي لكن الصوت اختفى بعدها كأنه قال اللي عايز يقوله ومبقاش عنده سبب يكمل معانا!

بصيت لجرموق ومرهوب الاتنين كانوا ساكتين لكن المرة دي السكوت مكنش خوف ولا حيرة، كان واضح إنهم عارفين الإجابة وبيحاولوا يقرروا إذا كانوا يقولوهالي ولا لأ، فبصيت لجرموق وسألته أنت عارف مين اللي حبسه صح؟

فضل ساكت فكررت السؤال بإلحاح وصوت أعلى، لكنه فضل باصص للباب ومردش عليا وفي الأخير مرهوب هو اللي اتكلم وقال "مش كل حاجة اتقالت عن سلهب كانت حقيقية"

قربت منه وسألته يعني إيه الكلام ده؟

قال وهو بيبص للباب إن القبائل لما حكمت على سلهب بالحبس مكنتش بتدور على الحقيقة، كانت بتدور على حد تحمل عليه الذنب..

سألته ذنب إيه؟

لكنه سكت لحظات طويلة وبعدين قال "سلهب كان موجود في مكان مينفعش أي حد يكون فيه، وشاف حاجة مينفعش أي حد يشوفها، ومن اللحظة دي بقت حياته كلها جريمة"

بصيتله وأنا مستغرب وقلتله يعني إيه الكلام ده؟ إنتوا عارفين هو شاف إيه؟

رد جرموق بهدوء "لأ منعرفش، لكنه كان موجود في مكان محدش كان المفروض يدخله، وخرج منه بحاجة خلت القبائل كلها تعتبره خطر"

سألته، طب إنتوا عارفين مين اللي حبسه؟

فقال مرهوب "احنا عارفين إن القبائل السبعة اشتركت في الحكم عليه، لكن مين اللي أصدر الحكم، ومين اللي نفذه، وليه حصل كل ده، دي حاجات محدش فينا يعرفها! "

فضلنا واقفين ثواني طويلة وأنا مش قادر أستوعب اللي حصل، وبعدين بصيت لمرهوب وسألته هو إحنا جينا كل المسافة دي وقطعنا نص العالم ونزلنا تحت جبل في آخر الدنيا علشان نوصل لباب يتقفل في وشنا وخلاص؟

مرهوب مردش عليا لكنه قرب من الباب وحط إيده على سطحه وفضل ساكت كأنه بيحاول يسمع حاجة من الناحية التانية، جرموق وقف جنبه وبعد لحظات قال "مفيش حد جوه"

بصيتله باستغراب وقلتله أمال الصوت اللي كلمنا ده كان إيه؟

فرد عليا بكلمة واحدة "معرفش"

ودي كانت أول مرة أسمع منه الكلمة دي من ساعة ما بدأت المغامرة!

مرهوب فضل يمرر إيده على سطح الباب ببطء لحد ما وقف عند جزء معين وقال "استنوا"

بصيت ناحية إيده لكن مكنتش شايف أي حاجة مختلفة عن باقي الحجر، فقلتله في إيه؟

قال "هنا بالظبط تحت إيدي فيه حاجة مرسومة تحت السطح! "

قربت منه وأنا بحاول أشوف اللي بيقوله وبعد ثواني بدأت خطوط رفيعة تظهر على الحجر كأنها محفورة تحته من زمان لكن طبقة سوداء كانت مخبياها!

الخطوط بدأت تتجمع قدام عينينا وتتحول لرموز غريبة وبعدها ظهر شكل مستطيل صغير في منتصف الباب مرهوب أول ما شافه قال "دي مش كتابة"

جرموق رد عليه "لأ دي علامة إخفاء"

سألتهم يعني إيه علامة إخفاء؟

مرهوب قال "يعني إن فيه حاجة متخبّية ورا الحجر"

بعدها رجع حط إيده على المكان اللي ظهرت فيه العلامة لكن الباب مظهرش أي رد فعل فبصلي وقال "حط إيدك أنت"

استغربت وقلتله أنا ليه؟

قال "معرفش بس العلامة ظهرت لما انت اللي قربت منه!؟

مديت إيدي ولمست الحجر وبمجرد ما صوابعي لمسته حسيت ببرودة شديدة دخلت في جسمي كأن إيدي اتحطت في تلج، لكن بعدها مباشرة سمعت صوت تكسير خفيف وظهر شق رفيع جدا في سطح الباب امتد من تحت إيدي لحد أسفل الحجر!

سحبت إيدي بسرعة لكن الشق فضل بيكبر لوحده، وقطعة صغيرة من الحجر وقعت على الأرض وظهر وراها تجويف ضيق مظلم مكانش فيه أي باب ولا طريق ولا مقبرة، لكن كان فيه شيء ملفوف في قماش أسود قديم!

مرهوب قرب منه وقالي "متلمسوش"

جرموق مد إيده بحذر وسحب القماش من التجويف وبمجرد ما فك أول طرف منه ظهرت مخطوطة قديمة ملفوفة بعناية، كانت أوراقها لونها أصفر غامق، وأطرافها متآكلة، لكن الغريب إن الخيط اللي رابطها كان لسه سليم كأنه مربوط من يوم واحد!

بصيت للمخطوطة وقلتله دي إيه؟

جرموق هز راسه وقال "مش عارف"

مرهوب قرب منها وبص للرموز اللي على أول صفحة وقال "دي مكتوبة بلغة جن قديمة"

قلتله تقدر تقراها؟

قال "أقدر أفهم بعض الكلمات بس اللغة دي مش كاملة بالنسبالي"

جرموق فتح أول صفحة وبدأ يقرا ببطء شديد كأنه طفل بيتعلم القراءة، وكانت أول جملة مكتوبة فيها مختلفة عن أي حاجة شفتها قبل كده لأن الحروف كانت متشابكة مع بعضها وكأن اللي كتبها كان بيحاول يخليها صعبة على أي حد يقرأها وبعد وقت طويل رفع عينه ناحيتي وقال "دي مش قصة! "

قلتله أمال إيه؟

قال "شهادة "

مرهوب أخد المخطوطة منه وبدأ يقرا بنفسه، وبعد ثواني طويلة وشه اتغير وبص لجرموق وقال الاسم موجود هنا!

سألته اسم مين؟

مردش..

خدت المخطوطة منه وقلتله اسم مين؟

جرموق قال "سلهب"

فضلت باصص للورقة اللي في إيده وأنا مش قادر أفهم الكتابة اللي مكتوبة بيها المخطوطة لأنها كانت غريبة ومتشابكة، لكن جرموق كان مركز في جزء صغير من المخطوطة كأنه لقى حاجة مش مجرد اسم مكتوب، قربت منه وقلتله فين؟ لكنه رفع إيده يمنعني وقال "استنى"

بصيت للمكان اللي كان بيشاور عليه فلاحظت إن فيه رمز صغير مرسوم وسط الكتابة، وكان مختلف عن كل الرموز اللي حواليه، جرموق مرر صباعه فوقه وقال "ده اسمه"

قلتله اسم سلهب!

هز راسه ببطء وقال "أيوه"

مرهوب قرب منه وبص للورقة وبعد لحظات قال "الاسم موجود هنا بس الكلام اللي حواليه اتمسح"

قربت أكتر ولاحظت إن جزء كبير من الكتابة كان باهت بشكل غريب كأن حد حاول يمسح الكلام من الورقة، لكن فضل جزء صغير واضح تحت الاسم، جرموق بدأ يمرر إيده فوق السطور بحذر وفجأة ظهر حبر أسود جديد على سطح الورقة كأنه بيطلع من جوه الجلد نفسه وبدأت العلامات تتجمع قدام عينينا لحد ما ظهرت جملة قصيرة

سلهب لم يكن أول من دخل))

فضلت باصص للجملة وأنا مش فاهم وقلت دخل فين؟

لكن قبل ما جرموق يرد بدأ الحبر يتحرك تاني وظهر سطر جديد تحت الجملة الأولى وأغرب منها

(وكان آخر من خرج)

في اللحظة دي اتسمع صوت خبط خفيف من ناحية الباب، وبعدها سكت كل شيء

جرموق قفل الورقة بسرعة وبصلي وقال "لازم نرجع"

سألته ليه؟

مرهوب كان باصص للباب وهو بيقول بصوت منخفض

"لأن تقريبا اللي كتب السطر الأخير لسه موجود هنا! "

فضلت باصص ناحية الباب وأنا مستني أي حركة أو أي صوت يثبت إن مرهوب كان عنده حق، لكن المكان كان صامت، صامت لدرجة إن صوت أنفاسي بقى أوضح من أي حاجة حواليا، كنت خلاص هلف وأمشي زي ما قال جرموق، وقبل ما آخد أي خطوة فجأة ظهرت قدامي ورقة، الورقة اللي بتيجي فيها المهمة اللي بيكلفوني بيها في كل مرة، أنا وجرموق ومرهوب كنا واقفين نبص عليها من غير ما حد ينطق بكلمة، مديت إيدي وفتحتها، ومكنش فيها غير سطور قليلة، لكنها كانت كفاية تخلي قلبي ينقبض!

إلى تلميذ الجن..

يُؤمر بالرجوع فورا، ويمنع استكمال الطريق، ومن تجاوز هذا الأمر فقد خرج من عهد القبائل، وسقط عنه حق الحماية والعون..

قريت الرسالة أكتر من مرة وأنا مش قادر أستوعب آخر جملة، رفعت عيني ناحية جرموق وسألته يعني إيه أخرج من عهد القبائل، فبصلي نظرة طويلة قبل ما يقول بهدوء يعني من اللحظة اللي هتقرر فيها تكمل، محدش هيبقى ملزم يحميك، ولو دخلت في مواجهة مع قبيلة، أو تعرضت للأذى، أو حتى مت، محدش هيعتبر نفسه مسؤول عنك.

مرهوب كمل كلامه وهو باصص ناحية الباب وقال والأخطر من ده إنك هتبقى تاني منفذ أحكام في تاريخ القبائل يعصي أمر مباشر صادر من المجلس، وساعتها هيعاملوك كإنك اخترت تمشي لوحدك..

فضلت ساكت، مرة أبص للرسالة ومرة أبص للباب اللي قدامي، الباب كان على بعد خطوات قليلة، ويمكن وراه كل الإجابات اللي بدور عليها من ساعة ما اشتريت الكتاب من سوق الجن، ويمكن كمان وراه سلهب نفسه بس السجّان بتاعه مثلا بيحاول يبعدنا عن الطريق ويقولنا إنه مش موجود، لكن في نفس الوقت أنا مكنتش مجرد واحد بيجري ورا مغامرة، أنا كنت تلميذ الجن، وكل اللي وصلتله في حياتي كان بسبب ثقتهم فيا، وكنت عارف إن مخالفة أمر بالشكل ده مش مجرد مخالفة عادية، دي ممكن تقلب علاقتي بعالم الجن كله في لحظة!

فضل الصراع جوايا دقايق طويلة وأنا مش قادر أحسم أمري، لحد ما أخدت نفس عميق وبصيت ناحية الباب آخر مرة، وقلت بصوت حاولت أخليه ثابت رغم إني مكنتش مقتنع بالكلمة اللي هقولها..

هنرجع..

سكت جرموق ومرهوب، محدش فيهم اعترض ولا حاول يقنعني بالعكس، وكأنهم كانوا مستنيين القرار ده من البداية، لكن وأنا بلف ضهري للباب كنت حاسس بإحساس غريب، إحساس إن الباب مكانش بيتقفل في وش سلهب كان بيتقفل في وشي أنا، وإن الحكاية دي لسه مخلصتش، وإنها هترجع تدور عليا مهما حاولت أبعد عنها..

مشينا في هدوء نفس الطريق اللي نزلناه من دقايق، لكنه كان مختلف تماما وأنا طالع، المكان نفسه بقى تقيل والهواء بقى أبرد، وكل خطوة كنت باخدها كانت بتزود إحساسي إني بسيب ورايا حاجة كان المفروض أكملها، أو يمكن حد كان مستنيني من زمان، وصلنا للدائرة الحجرية اللي نزلتنا لتحت، وأول ما وقفنا عليها بدأت تطلع بينا ببطء، مفيش ولا كلمة اتقالت طول الطريق، لا أنا سألت ولا جرموق أو مرهوب حاولوا يفتحوا كلام وكأننا احنا التلاتة كنا فاهمين إن أي كلمة هتتقال دلوقتي هتكون مجرد محاولة للهروب من الحقيقة..

أول ما خرجنا من مدخل الجبل حسيت كأني برجع للحياة من جديد، الهوا البارد خبط في وشي بقوة لدرجة إني وقفت كام ثانية أخد نفسي، الثلج الأبيض كان ممتد قدامي بلا نهاية، كأن اللي حصل تحت الجبل مكانش غير حلم طويل..

بصيت ورايا آخر مرة، الجبل كان واقف زي ما هو، صامت مفيش باب ولا أثر للممر اللي دخلناه ولا حتى الشقوق اللي كانت مالية الصخور، كأن الجبل ابتلع كل أسراره ورجع زي ما كان من آلاف السنين..

مرهوب بصلي وهو بيعدل هدومه وقال بابتسامة خفيفة

"يمكن دي أول مرة تبقى زعلان إنك سمعت الكلام"

ضحكت غصب عني وأنا بهز راسي وقلتله يمكن، لكنه رد بسرعة وقال "افتكر الإحساس ده كويس، لأن أكتر القرارات الصح في حياتك هتكون أكترها وجعا"

وقبل ما أسأله يقصد إيه، لفت انتباهي شيء صغير واقع فوق الثلج على بعد خطوات مننا، في الأول افتكرته حجر لونه فاتح، لكن لما قربت منه لقيته كتيب صغير جدا، حجمه أصغر من أي كتاب شوفته قبل كده، غلافه أبيض باهت، ومفيش عليه عنوان ولا حتى زخرفة واحدة، الغريب إنه كان فوق التلج مباشرة، يعني واضح إنه اتحط من ثواني لإنه لو كان موجود من فترة كبيرة كان زمانه اتردم وسط التلج!

انحنيت أخده، لكن قبل ما ألمسه جرموق قال لأول مرة من ساعة خرجنا كلمة واحدة بس

"خده"

بصيتله باستغراب وانا بمسك الكتاب وقلتله هو إيه ده؟

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال "واضح إن الجبل رضي عن قرارك"

مسكت الكتيب بإيدي، كان دافي بشكل غريب، عكس كل حاجة حواليا، وأول ما فتحته لقيت أول صفحة مكتوب فيها بخط عربي قديم، لكنه واضح بشكل يخليني أقراه كأني حافظه من زمان

في معرفة الحد بين عالمي الإنس والجان

وقفت مكاني وبصيت لمرهوب، لكنه هز كتفه وقال "متبصليش أنا عمري ما شفته"

استغربت أكتر وقلتله يعني إيه عمرك ما شفته؟

رد وهو بيبص للكتيب في إيدي

"لأن النوعية دي من الكتب مش بتتكتب للجن"

وساعتها لأول مرة حسيت إن رجوعي من المقبرة مكانش نهاية مغامرة، كان بداية باب جديد، باب محدش فتحهولي قبل كده، ومحدش حتى هيقدر يشرحهولي..

فتحت الكتاب اللي كان عبارة عن صفحتين بس!

وبدأت أقرأ

"ليس كل من رأى قد دخل، وليس كل من سمع قد اقترب"

هناك موضع لا هو من عالم الإنس ولا هو من عالم الجن، يسمّى عند القدماء الحد هو ليس مكانا يُمشى إليه بالقدم، ولا بابا يُفتح بالمفتاح، بل حالة تمر بها بعض النفوس عندما تضعف المسافة بين الحواس والعوالم الخفية..

في الحد، لا يصبح الإنسان جنيا ولا يترك جسده لكنه يصبح قادرا على إدراك أشياء كانت خلف ستار الحواس

وتظهر علامات الحد بثلاث صور:

الأولى: السمع

أحيانا الإنسان صوتا لا يسمعه غيره
قد يكون همسا يأتي من مكان مجهول، أو نداء باسمه، أو كلمات غير مكتملة كأن أحدا يحاول الوصول إليه من خلف جدار لا يُرى..

لكن احذر، فليس كل صوت من عالم الجن، فالحد يختبر العقل قبل الأذن
ومن يصدق كل صوت يسمعه يضيع، ومن ينكر كل شيء لا يتعلم

الثانية: الرؤية

في بعض لحظات الحد، قد ترى العين ظلالا أو أشكالا لا تثبت
قد يظهر شيء في طرف النظر ثم يختفي، أو يرى الإنسان هيئة تمر خلفه دون أن يجد أحدا

لذلك قال الحكماء:

"العين في الحد لا ترى الحقيقة كاملة، بل ترى ما تسمح به القوة بين العالمين"

الصفحة الثانية: رفع الحجاب

"الحجاب ليس بابا مغلقا بل طبقة من الإدراك"

بين عالم الإنس وعالم الجن حجاب لا يُرفع بالقوة، وإنما يحدث أحيانا بسبب ظروف نادرة

ومن يدخل الحد قد يمر بإحدى الحالات التالية:

حالة السكون العميق

عندما يهدأ الجسد ويصبح العقل بين النوم واليقظة، قد يسمع الإنسان أصواتا أو يشعر بوجود شيء قريب منه.
هذه اللحظة يسمّيها أهل المعرفة عتبة الحد، لأنها أقرب نقطة يقترب فيها الإدراك من العالم الآخر.

حالة الخوف الشديد أو الصدمة

الخوف القوي قد يجعل الإنسان يرى ويسمع أشياء لا تظهر في الظروف العادية ولهذا كان القدماء يقولون إن الخوف "يفتح شقوقًا صغيرة في الحجاب"

حالة العابر

وهي أخطر حالات الحد

فيها لا يبحث الإنسان عن العالم الآخر، بل يجد العالم الآخر طريقا إليه

يظهر ذلك أحيانًا في صورة:

-حلم يتكرر بنفس المكان.

-صوت يعرف اسم الشخص ويناديه.

-علامة أو رمز على الجسد يظهر أكثر من مرة.

-شعور بأن هناك من يراقبه دون أن يرى أحدا.

لكن الكتيّب يحذّر:

"لا تطلب الحد فالذي يبحث عن الباب قد يجد بابا لا يعرف كيف يغلقه "

--

كنت في آخر يوم من أجازتي المعتادة، قاعد لوحدي في البيت بعد ما الدنيا هديت والساعة كانت عدت منتصف الليل بشوية، البيت كله ساكت بشكل مريح، وكنت مستغل الأيام القليلة دي

إني أبعد دماغي عن كل اللي حصل في الفترة الأخيرة، خصوصا حكاية سلهب والجبل والرسالة اللي أجبرتني أرجع وكنت وقتها حاسس إني محتاج أقضي كام يوم من غير ما أسمع اسم جن ولا أشوف كتاب قديم ولا ألاقي نفسي داخل مغامرة جديدة، ولأول مرة من فترة طويلة كنت حاسس إن الدنيا رجعت طبيعية لحد ما النور اللي في الصالة بدأ يضعف لوحده..

في البداية افتكرت إن اللمبة فيها مشكلة فقمت من مكاني وبصيت عليها لكنها رجعت تنور تاني، وبعدها بثواني حصل نفس الشيء مرة تانية لكن المرة دي النور مطفاش، هو بس بقى أضعف تدريجيا لحد ما المكان كله غرق في إضاءة خافتة، وفي اللحظة دي بالذات حسيت بالحرارة اللي بقيت أعرفها كويس، نفس الإحساس اللي بييجي قبل ظهور رسالة منهم، وفجأة ظهرت قدامي من الفراغ..

وفيها:

إلى تلميذ الجن..

"لقد أتممت ما طُلب منك، وحين خُيّرت بين فضولك وطاعتك، اخترت العهد ولذلك فقد تقرر أن تكون مكافأتك عام كامل لا يُطلب منك فيه شيء، ولا تستدعى فيه إلى حكم، ولا تكلّف فيه بمهمة، ولا تُلزم فيه بالبحث عن أثر أو جني أو ساحر، عش عامك كما تشاء، وعد إلى حياتك التي تركتها، فالقبائل لا تحتاج منك شيئا خلال هذه المدة"

حسيت وقتها بحاجة غريبة جدا، مزيج بين الراحة وعدم التصديق، قعدت على الكرسي وأنا لسه ماسك الورقة وقريتها مرة تانية وبعدها ابتسمت وقلت أخيرا سنة كاملة من غير ما حد يطلب مني حاجة، رجعت اقرا الرسالة تاني قبل ما تختفي ووقفت عند الجملة الأخيرة تحديدا،

"عد إلى حياتك التي تركتها" لأن الجملة دي شدتني أكتر من كل اللي قبلها!

كأنهم لأول مرة بيعترفوا إن اللي حصل خلال الشهور اللي فاتت أخد مني حاجة، وإنهم فاهمين إن الإنسان اللي دخل عالمهم من البداية مش هو نفس الإنسان اللي واقف دلوقتي في بيته.

فضلت باصص في الورقة وأنا سرحان وفجأة لقيت سطر جديد ظهر من تحت خالص "ولا تحاول أن تبحث عن سلهب خلال هذا العام"

ابتسامتي اختفت في لحظتها وفضلت باصص للجملة شوية وبعدين هزيت راسي وقلت لنفسي إنهم واضح إنهم عارفينني أكتر مما كنت فاكر..

حطيت الورقة على الترابيزة، لكن قبل ما أبعد إيدي عنها اختفت تماما لا دخان ولا نار ولا حتى أثر رماد، بعدها رجعت أبص للساعة وبصراحة لأول مرة من شهور طويلة حسيت إن عندي حاجة أخطر من أي مهمة كلفوني بيها، وقت فاضي!!!

بس بصراحة كنت حاسس براحة غريبة ممزوجة بفراغ، كأن حد فجأة شال من فوق دماغي حمل كنت متعود عليه لدرجة إني نسيت شكله، وأول حاجه قررت أعملها الصبح إني ابعت إيميل للشركة واطلب منهم أجازة شهرين أو أكتر شوية وكنت عارف إنهم هيوافقوا لأن فترة الشتا الشغل فيها بيكون قليل وبكدا هيوفروا راتبي بالكامل..

قمت رجعت لسريري فتحت الموبايل وقعدت أقلب في فيسبوك من غير هدف، فيديوهات وأخبار ومنشورات ملهاش علاقة ببعض لحد ما ظهر قدامي منشور واخد انتشار كبير، صورة لطريق صحراوي طويل وسط الضلمة، والعربية متصورة من بعيد وهي واقفة على جنب الطريق وفوق الصورة عنوان كبير بيقول إن زوجين كانوا راجعين من سفر بالليل وشافوا عفريت طريق وقف قدام عربيتهم ولما فتحت المنشور لقيت إن الراجل نفسه هو اللي كاتب اللي حصل، بيقول إنه كان سايق ومراته جنبه والطريق كان هادي ومفيش حواليهم أي عربيات وفجأة على بعد مسافة شاف شخص واقف في نص الطريق طويل بشكل ملفت ولابس هدوم غامقة، فهدا السرعة وفضل يدي له كلاكس لكن الشخص مكنش بيتحرك، ولما قرب منه أكتر اختفى من قدام العربية في لحظة وقدام عينه مباشرة، وبعدها مباشرة العربية نفسها اتطفت مع إن كل العدادات كانت شغالة، والراجل بيقول إنه فضل يحاول يدورها كذا مرة لحد ما سمع مراته اللي كانت شايفه المشهد من الأول وهي بتصرخ وتقوله إن الشخص واقف ورا العربية!

وقفت عند الحتة دي وقريت الكلام مرة تانية وبعدها نزلت للتعليقات وهنا بدأت القصة تاخد شكل مختلف، لأن بدل ما ألاقي ناس بتضحك وتقول خرافات كما هي العادة لقيت تعليقات من سواقين نقل وملاكي بيأكدوا إن الطريق ده فعلا مشهور بينهم بالحكاوي دي..

واحد بيقول إنه شاف شخص واقف على جنب الطريق واختفى أول ما قرب منه، وواحد تاني بيقسم إنه كان سايق مع زميله وشافوا راجل بيجري جنب العربية بنفس سرعتهم لمسافة طويلة ولما وقفوا ملقوش أي حد، وسواق تالت كتب إنه عمره ما بيعدي من المنطقة دي لوحده

بعد الساعة اتنين بالليل ولما حد سأله ليه رد وقال إن اللي بيظهر هناك مش دايما بيكون مجرد خيال أو وهم، خصوصا إنه أول مره يسوق على الطريق دا شاف واحدة ست واقفة بتشاورله ومعاها طفل صغير، وقفلهم وركبوا معاه وبعد مسافة وهو ساند بكوعة على الباب ناحية الشمال من كتر التعب والسهر ولما رجع بص عليهم عشان يسألها نازلين فيه ملقاهمش!

فضلت أقلب في التعليقات وأنا حاسس إن الموضوع بدأ يشدني أكتر من اللازم، خصوصا إن الناس اللي بتحكي مش عارفين بعض وكل واحد بيحكي موقف مختلف، لكن فيه حاجة واحدة مشتركة بينهم كلهم إن الحكايات بتحصل في نفس الجزء من الطريق تقريبا، عند منطقة مفيهاش أي بيوت ولا أعمدة إنارة ولا حتى محطة بنزين قريبة، وبدأت أسأل نفسي هو ليه المكان ده بالذات؟ وليه كل الناس بتشوف حاجات متشابهة فيه؟

دخلت على الخريطة ودورت على المكان، وبعد شوية بحث لقيت إن الطريق والموقع أبعد مما توقعت، لكن المسافة مكنتش مشكلة بالنسبالي، أنا أصلا عندي سنة كاملة مفيهاش مهمة واحدة، ومفيش حد مستنيني ولا قبيلة باعتالي أمر ووقتها حسيت إن الفضول شدني خالص، فتحت الخريطة تاني وحفظت الموقع على الموبايل، وقلت لنفسي وأنا ببتسم

أول مغامرة في سنة الحرية، شكلها هتبدأ من طريق صحراوي..

قررت تاني يوم إني اروح الطريق دا واشوف العفريت بنفسي، كنت دايما بسمع عن عفاريت الطرق لكني عمري ما اهتميت بيهم بالشكل الكافي، يمكن لأني كنت فاكر إنهم مجرد حكايات قديمة السواقين بيحكوها لبعض عشان يكسروا ملل السفر، لكن بعد اللي قريته عن الطريق ده بدأت أفتكر كلام قديم سمعته من شدام في مرة، كان بيقول إن عفريت الطريق مش بيعيش في الطريق بالمعنى اللي البشر فاهمينه، هو بيعيش في اللحظة اللي بيحصل فيها الخوف، يعني ممكن يفضل سنين في نفس المكان من غير ما يظهر لحد، وممكن يظهر في ليلة واحدة لأكتر من شخص، لكنه عمره ما بيختار أي حد، لازم الشخص يكون لوحده أو يكون مرهق أو شارد أو عنده خوف جواه لأن العفريت حسب كلام شدام مش بيظهر عشان يخوف الناس وخلاص، هو بيظهر لما يلاقي إن الإنسان نفسه فتح له الباب، وأحيانا بيظهر بدون أي سبب من الأسباب دي، بيظهر عشان عايز يظهر ويرازي في خلق الله، أو أحيانا عشان يفرض سيطرته على الشارع وينبسط لما الناس تقول الشارع دا ساكنه العفريت الفلاني وعمل كذا مع فلان وكذا مع فلان..

وكان فيه اعتقاد غريب عند بعض الجن إن عفاريت الطرق بتتعلق بالأماكن اللي حصل فيها موت مفاجئ، خصوصا لو الموت حصل من غير ما صاحبه يعرف إنه قرب، وعشان كده بعضهم بيفضل واقف في نفس النقطة لسنين، لا بيتحرك منها ولا يقدر يبعد عنها، ويظهر مرة في شكل راجل، ومرة في شكل طفل، ومرة في صورة شخص واقف بعيد كأنه مستني حد، لكن الشكل الحقيقي محدش من البشر شافه، أو تقريبا عدد قليل جدا وأحيانا بتحصلهم صدمة وبيفقدوا النطق أو يتجننوا وأحيانا بيلازموا السرير فترة وبعدها يموتوا!

وأغرب حاجة كنت أعرفها عنهم إنهم مش بيظهروا لكل اللي يعدوا من المكان بالعكس، معظم الناس ممكن تعدي من فوق نفس النقطة عشرات المرات ومتشوفش حاجة، لكن في بعض الليالي بيختار واحد بعينه ويبدأ معاه بحاجات بسيطة جدا، العربية مثلا تبقى تقيلة فجأة والسواق مش عارف يتحكم فيها، راديو يقطّع، صوت صرخة جايه من بعيد، ظل يعدي قدام النور ويختفي أول ما عينك تلمحه، وبعدها لو الشخص وقف أو رد أو حاول يدور ورا الصوت تبدأ الحكاية الحقيقية!

وعشان كده كان بعض السواقين زمان يقولوا إن أسوأ حاجة ممكن تعملها لو شفت حد واقف في طريق صحراوي بالليل إنك تقفله!

يمكن عشان كده كنت متحمس وأنا سايق ناحية المكان، أنا مش رايح أدور على شخص ظهر قدام عربية وخلاص، أنا كنت عايز أعرف إذا كانت كل الحكايات دي مجرد خوف جماعي اتوارثه السواقين، ولا إن الطريق فعلا فيه حاجة وعايزه حد يشوفها!

ركبت العربية بعد المغرب بشوية، وخدت الطريق الصحراوي وأنا سايب الموبايل على الكرسي اللي جنبي، كل شوية أفتح الخريطة أتأكد إني ماشي في الاتجاه الصح، وكل ما قربت من المكان بدأت العربيات تقل لحد ما بقيت ما بشوفش غير أضواء بعيدة بتظهر وتختفي قدامي، وبعد حوالي ساعة ونص وصلت للجزء اللي الناس اتكلمت عنه..

الطريق كان عادي جدا ومفيش حاجة تلفت النظر، لا صوت غريب ولا ظل ولا حتى حركة على الجانبين، وقفت العربية على جنب ونزلت منها، فضلت واقف شوية أبص للصحراء على اليمين والشمال وأنا مستني أي حاجة تحصل، لكن مفيش حاجة حصلت!

-العفريت مبيطلعش للي عايز يشوفه-

رجعت للعربية وقعدت جواها، واتحركت في الاتجاهين رايح جاي أكتر من مرة، مرة أبطأ ومرة أسرع، حتى إني وقفت في نفس النقطة اللي الراجل قال إنه شاف فيها الشخص، ونزلت وبصيت حواليّا لكن النتيجة كانت واحدة مفيش حاجة!

وقتها جاتلي فكرة وهي إني مش هقف مستني إيه يظهر، هستفزّه واخليه هو اللي يظهر لوحده..

رجعت العربية لنقطة أبعد من المكان بحوالي كيلومتر وطفيت الأنوار، وسيبت العربية تتحرك ببطء شديد لحد ما وقفت تماما في نص الطريق، وبعدها نزلت منها ومشيت شوية بعيد عن العربية، وبمجرد ما بقيت واقف لوحدي في الضلمة طلعت الموبايل وفتحت تسجيل الصوت، وقلت بصوت مسموع وأنا ببص للطريق الفاضي قدامي أنا عارف إنك هنا ولو بتظهر للناس اللي بتخاف منك، فأنا مش خايف..

سكوت ومحصلش حاجه..

ثواني عدت من غير ما يحصل أي شيء بعدين سمعت صوت فرامل عربية جاي من ورايا

لفيت بسرعة وأنا ناسي إني سبت أنوار العربية مطفية ودا خطر جدا وممكن أي عربية تخبط عربيتي، لكن اتفاجئت بأن الطريق كان فاضي وعربيتي اللي كنت سايبها على بعد عشرين متر تقريبا أنوارها كلها اتفتحت لوحدها!

أول ما أنوار العربية اتفتحت بصيت ناحيتها ثواني، وبعدين حسيت بحضور حواليا وبطرف عيني لقيت جرموق ومرهوب واقفين على بعد خطوة ورايا، ظهورهم كان طبيعي بالنسبالي خصوصا إن السنة اللي أخدتها من غير مهام كان واضح من أولها إنهم مش هيسيبوني أتحرك لوحدي..

جرموق بص للعربية وقال وهو بيحط إيده في جيبه "واضح إن صاحبنا قرر يظهر أخيرا"

مرهوب ابتسم وقال "كان لازم يعني يستنى لما تطفي النور عشان يضمن إنك لوحدك! "

سألتهم يعني أنتوا شايفينه؟

جرموق رد من غير ما يبصلي "شايفينه من أول ما وقفت هنا"

سألتهم وأنا لسه مركز عيني على العربية هو ده اللي كان بيظهر للناس؟

جرموق هز راسه من غير ما يتكلم، وفي اللحظة دي ظهر شخص على بعد مسافة صغيرة من العربية، واقف في الضلمة ومش باين منه غير جزء من جسمه، لكن أول ما لمحته عرفت إنه مش إنسان، وقبل ما يتحرك قلت لجرموق ومرهوب بهدوء هاتوه..

أول ما الكلمة خرجت من بقي أنوار العربية اتطفت مرة واحدة، المنطقة كلها بقت ضلمة، وفي نفس اللحظة حسيت بطاقة بتتحرك ناحية الصحرا العفريت كان بيهرب لما حس باللي معايا، كان بيجري بطريقة مستحيل أي إنسان يجري بيها، لكن جرموق ومرهوب اختفوا في نفس اللحظة، وبعد ثواني سمعت صوت صرخة مكتومة جاية من بعيد، وبعدها ساد الصمت من جديد..

جريت على العربية، ركبت وشغلت المحرك وانطلقت ناحية الصحرا وتحديدا الصوت اللي سمعته، مكانش ينفع نكمل كلامنا على الإسفلت قدام اللي رايح واللي جاي، وتقريبا العفريت اختار المكان المناسب إنه يتمسك فيه..

بعد تلات دقايق مشي في الصحرا ظهرلي جرموق ومرهوب، وكل واحد فيهم ماسك ذراع من ذراعي العفريت، وكان بيقاومهم بكل قوته، لكن واضح إن محاولته كانت بلا فايدة، بصيت للعفريت كويس لأول مرة كان شكله أقرب لرجل عجوز طويل ونحيف، جلده شاحب بشكل غريب وشعره أبيض ومتشابك ونازل على جزء من وشه، لكن أكتر حاجة شدت انتباهي كانت عينيه، مفيهاش بؤبؤ واضح، مجرد سواد واسع..

قربت منه خطوة وقلت اسمك إيه؟ فضل ساكت، بصيت لجرموق وقلت له سيبه يتكلم لوحده، جرموق ومرهوب بعدوا عنه خطوتين، والعفريت فضل واقف قدامي وهو بيبصلي وبعد لحظات قال بصوت خشن ومتقطع "إنت مش المفروض تكون هنا"

ابتسمت وقلتله وأنا مش جاي عشان أشوفك بس، أنا جاي أعرف ليه بتظهر للناس في الطريق، وليه الطريق ده بالذات!

فضل ساكت شوية وكأنه بيحاول يطلع الكلام من مكان بعيد جواه، مكان مليان سنين من الانتظار والغضب، عينه راحت للطريق ورايا وبص لنفس المكان اللي بيظهر فيه، كأنه مش شايف الأسفلت والتراب لكنه شايف ليلة قديمة لسه عايشة قدامه بكل تفاصيلها، بعدها رفع عينه ناحيتي وقال بصوت خشن ومتقطع "أنا مش عفريت زي ما الناس فاكرة أنا قرين"

اتثبت مكاني وأنا ببصله باهتمام، وقلت له قرين مين؟

فضل ساكت لحظات وبعدها قال "قرين واحد اسمه محمود إنسان عادي عاش ومات وهو مش عارف إن فيه حد كان معاه طول عمره، كان شايف خوفه قبل ما يخاف، وحاسس بألمه قبل ما يحس بيه، لكني مقدرتش أنقذه في اللحظة اللي كان محتاجني فيها"

لف وشه ناحية الطريق وقال بصوت مليان مرارة "الطريق ده وقتها كان جديد، ومكانش فيه سواقين كتير بتعدي منه، محمود كان راجع بعربيته في ليلة هادية وفجأة العربية عطلت منه هنا بالظبط، نزل يحاول يشوف فيها إيه وكان فاكر إنها مشكلة بسيطة وهيكمل طريقه لكنه مكنش يعرف إن حياته هتنتهي هنا"

سكت شوية وكأنه بيجمع شجاعته عشان يكمل، وبعدها قال "بعدها بدقايق ظهرت عربية جاية من بعيد، كانت ماشية بسرعة كبيرة، محمود حاول يبعد عن الطريق، لكن الوقت كان فات العربية خبطته ورمته على الأرض، والسواق وقف للحظة، لحظة واحدة بس شافه وهو مرمي شبه جثة على الأرض وفي اللحظة اللي وراها هرب بأقصى سرعة"

"كنت موجود وشايف كل حاجة، كنت واقف جمبه وهو بيحاول ينادي، كنت سامع أنفاسه وهي بتضعف، لكني كنت مربوط بقوانين تمنعني إني أغير اللي حصل، آخر حاجة شفتها منه إنه كان باصص للطريق مستني حد يساعده ومحدش جه، ومن يومها وأنا هنا الناس بتفتكر إني بحرس الطريق أو بخوف اللي يعدي منه، لكن محدش يعرف إني مش مستني أي حد أنا مستني العربية"

قلت له باستغراب العربية؟

هز رأسه وقال "أيوه العربية اللي أخدت محمود مني، أنا حافظ صوت محركها، حافظ شكلها، حافظ الأثر اللي سابته على الطريق، كل ليلة لما أسمع صوت عربية من نفس نوعها جاية من بعيد بفتكر إنها رجعت"

سكت لحظة وبعدها بصلي بعينين مليانين غضب وقال "أنا مش عايز أأذي حد أنا بس مستني القاتل يرجع مستني اللحظة اللي يعدي فيها بعربيته، عشان أوقفه وأقوله إن فيه حد فضل واقف هنا سنين طويلة مستني اليوم اللي يعرف فيه إن اللي سابه يموت مكنش لوحده"

بصيت لمرهوب وجرموق بصة عرفوا معناها، وفي اللحظة التانية اختفوا..

وأنا اتمشيت ناحية عربيتي بهدوء وأنا بدعي بالرحمة لمحمود..

*

بعد ما خلصت آخر مهمة خرجت لها بإرادتي، رجعت وأنا عارف إن السنة اللي أخدتها مش هتكون سنة راحة زي ما كنت متخيل.

في الحقيقة كنت محتاج أبعد عن القبائل، وأبعد عن شغل الحفريات، وأعيش وسط البشر شوية من غير أوامر ولا مهام ولا أحكام لازم أنفذها، لكن في نفس الوقت كان جوايا فضول أكبر من مجرد الراحة، فضول إني أفهم أكتر وأشوف بعيني حاجات ماكنتش بشوفها وأنا مجرد منفذ لأحكام الجن.

ساعتها بدأت أفكر في فكرة العلاج من جديد، مش بس علشان أساعد الناس اللي بتوصل لحالات مستعصية، لكن كمان علشان أعرف أسرار أكبر عن العالم اللي بقيت جزء منه، وأفهم ليه بعض الحالات بتتشابه، وليه حالات تانية بتحصل لأشخاص من غير أي مقدمات، وإيه اللي بيخلي إنسان معين يقدر يشوف أو يسمع حاجات غيره مايحسش بيها؟

كنت عارف إن السنة دي ممكن تعدي من غير ما أقابل عفريت واحد، وممكن تكون أكتر سنة أشوف فيها حاجات عمري ما شفتها قبل كده وعلشان كده قررت أبدأها بعيد عن محافظتي، وفي مكان محدش يعرفني فيه وأخلي البيت اللي هعيش فيه هو البداية..

قبل كل شيء قولت لأمي إني خارج في بعثة لمدة سنة أول أقل بشوية، وفي يوم السفر حضرت شنطتي وظبطت أموري وللأسف العربية بتاعتي مكانش ينفع آخدها معايا فركنتها تحت البيت، واتوجهت للبيت اللي اتفقت على إيجاره مع واحد من السماسره وقالي هتروح تستلم من صاحب البيت اللي هيكون مستنيك في الميعاد.

المكان كان في قرية صغيرة على طريق قديم بين القاهرة والصعيد، قرية مشهورة عند أهل المنطقة باسمها بس، لكن لو سألت حد عنها من بره المحافظة فغالبا مش هيعرفها، وصلت لها قبل المغرب بشوية، وسألت عن البيت اللي كنت سمعت عنه، فدلوني عليه من غير أسئلة كتير، كان بيت قديم دور واحد مبني بالطوب الأحمر ومتشطب من بره على قده وقدامه مساحة واسعة من الأرض، وورا البيت شوية زرع وعلى بُعد خطوات منه طريق ترابي بيؤدي للطريق الرئيسي، المكان كله كان هادي بشكل غريب، وده بالضبط اللي كنت بدور عليه..

قعدت في الصالة أبص حواليا، مفيش حاجة ملفتة للنظر، أوضة نوم وأوضة تانية فاضية، مطبخ صغير وحمام، وكل حاجة بسيطة ومناسبة لشخص ناوي يعيش لوحده..

صاحب البيت كان راجل كبير في السن، دفعتله إيجار تلات شهور، وسألني هقعد قد إيه مع إن أكيد السمسار قاله مسبقا، قولتله سنة، بص لي لحظة وقال سنة كاملة؟

قلتله أيوه شغل، هز راسه وماتكلمش تاني، وقبل ما يمشي قالي رقم تليفوني عندك لو احتجت أي حاجه في أي وقت كلمني، شكرته بلطف وبعدها سابني ومشي..

بعد حوالي أسبوع من إقامتي في البيت كنت بدأت أتعود على هدوء المكان، لدرجة إني بقيت أسمع أصوات بسيطة ماكنتش واخد بالي منها في الأول، صوت باب بيت بيتقفل بعيد، صوت عربية بتعدي على الطريق الرئيسي، أو صوت كلاب بتنبح من وقت للتاني في آخر الليل..

كنت بقضي معظم يومي جوه البيت، أقرأ وأراجع اللي اتعلمته خلال السنين اللي فاتت، وأفكر في الحالات اللي قابلتها قبل كده، من غير ما أعمل أي محاولة إني أعرّف الناس بنفسي أو أقول لحد إني معالج، أنا كنت عايز الحالة هي اللي تيجي لي، مش أنا اللي أدور عليها..

لحد ما في يوم جمعة وبعد ما خلصت وضوئي واغتسالي خرجت من البيت بدري شوية وأنا متجه للمسجد، كنت لسه جديد في البلد، ومحدش تقريبا يعرفني غير صاحب البيت اللي مأجرهولي..

وأنا ماشي في الشارع وقبل ما أوصل للمسجد بحوالي دقيقتين، سمعت صوت صرخة جاية من أحد البيوت، وقفت مكاني وبصيت ناحية الصوت وبعدها سمعت صرخة تانية، أعلى وأشد!

وبعدها صوت ست بتقول وهي بتعيط "الحقونا، حد يلحقنا"

بدأت الناس تخرج من البيوت، وفي ثواني الشارع اللي كان هادي اتقلب لحركة وزحمة، وكل واحد بيسأل التاني إيه اللي حصل؟

قربت من البيت لقيت حواليه رجالة وستات، وفيه واحد واقف عند الباب بيزعق وبيقول للناس تبعد، وفي نفس الوقت صوت بنت من جوه البيت كان بيصرخ بطريقة ماكنتش طبيعية!

سمعت واحد من الواقفين بيقول دي البنت من الصبح وهي كده، كل ما حد يقرب منها تهجم عليه.

ورد عليه واحد تاني وقال اتصلوا بالإسعاف تلحقها..

لكن وسط الكلام ده كله كان فيه حاجة في صوت البنت خلتني أقف مكاني، مش الصراخ نفسه إنما الطريقة اللي كانت بتضحك بيها بين كل صرخة والتانية..

سمعت مرهوب بيهمس في ودني وهو بيقول فرصتك جات، وأنا مكنتش مستنيه ينبهني، لإني عارف إنها جات فعلا..

دخلت من بين الناس وأنا بقول وسعوا كده..

واحد من الرجالة اللي واقفين على الباب مسكني من دراعي وسألني إنت مين؟

من غير ما ابص عليه قولتله سيبني أدخل وهتعرف..

قالي باستغراب تدخل تعمل إيه؟

ماجاوبتش سحبت دراعي ودخلت البيت، وهنا كل اللي كانوا واقفين بره بدأوا يبصوا لبعض في استغراب وسمعت أكتر من واحد فيهم بيسأل اللي جمبه وهو بيشاور عليا، مين ده؟

دا مش من هنا..

حد يعرفه؟

مكانش حد يعرفني..

دخلت الصالة ولقيت بنت في أوائل العشرينات تقريبا، واقفة في آخر الصالة وأربع ستات بيحاولوا يقربوا منها ومش قادرين، كانت بتبص لهم بنظرة ثابتة ووشها باصص للسقف وشعرها منكوش، لكن اللي لفت انتباهي إن إيديها كانت مضمومة بقوة لدرجة إن ضوافرها اتغرست في كفوفها..

أول ما شافتني سكتت!

البيت كله سكت!

وبعدين رفعت عينيها ناحيتي وقالت بصوت ذكوري هادي جدا، مختلف تماما عن الصوت اللي كنت سامعه من الشارع "أنت جيت ليه؟ "

قربت منها خطوة وقلت أنا اللي المفروض أسألك، عاوز منها إيه؟

ما ردش، أو ما ردتش..

لكنها ابتسمت..

الناس من اللحظة دي بدؤوا يوسعولي مجالي، حتى الحريم اللي كانت واقفه رجعت لورا، سمعت بعض الهمسات اللي بيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، واللي بيستغفر ربنا، واللي بيقول بزهق احنا مش هنخلص من العفاريت وألاعيبها، الكل كان عارف إن البنت ممسوسة، تقريبا كانوا شاكين في الأول لكن دلوقتي اتأكدوا..

وقفت قدامها وأنا مركز في عينيها وعرفت إن اللي جواها مش هيسيبها بسهولة، فاستدعيت جرموق من غير ما أحرك شفايفي، وبعد لحظات حسيت بوجوده ورايا، طلبت منه يخرج اللي جوه البنت وينهي وجوده، بس كان لازم اعمل أي حركة بإيدي عشان الناس تنبهر بيا..

رفعت إيدي اليمين ناحية وش البنت في مشهد سينمائي والعيون كلها مترقبة وبعد ثواني قفلت إيدي على هيئة قبضة، وفي اللحظة دي جرموق عرف الإشارة، جسم البنت ارتجف وصرخت صرخة واحدة دوت في البيت كله، وبعدها وقعت على الأرض فاقدة للوعي.

الجو سكت تماما والصمت بقى أتقل من الأول، وبعد ثواني بدأت البنت تتنفس بشكل طبيعي وفتحت عينيها وهي بتبص حواليها كأنها مش فاكرة حصل إيه!

بصيت للناس وقلت لهم خلاص، هي هتكون كويسة..

ماحدش رد في الأول وكأنهم مش مستوعبين اللي حصل، أو إنه عادي يحصل لكن مش بالسرعة دي!

أمها جريت عليها وهي بتعيط من الفرحة والستات اتجمعوا حواليها، والرجالة بدؤوا يبحلقوا فيا كأنهم بيحاولوا يحفظوا ملامحي، حاولت أمشي من غير كلام كتير، لكن الخبر كان سبقني وخلال ساعات القرية كلها عرفت إن الغريب اللي ساكن في البيت الجديد قدر يعالج بنت فلان الفلاني، الممسوسة من الجن..

-

عم أسعد سواق عربية نقل تقيل راجل قضى سنين عمره على الطرق، حافظ المطبات ومحطات البنزين أكتر ما هو حافظ شوارع بلدهم، وفي ليلة كان شايل نقلة جرانيت جايبها من أسوان للقاهرة، وماشي على طريق الجيش الصحراوي، والساعة كانت قربت على اتنين بالليل..

الطريق كان شبه ميت، مفيش غير نور عربيته بيقطع الضلمة اللي قدامه، وصوت الموتور التقيل ثابت، والتباع نايم جنبه من التعب..

بعد ساعات من السواقة حس بالجوع بص على التباع لقيه نفسه نايم فمرضيش يصحيه، ركن العربية على جنب الطريق ونزل لوحده، فتح الكابينة طلع كيس صغير كان فيه تلات ارغفة عيش وحتة جبنة، وقعد ياكل على الأرض جمب العربية..

الدنيا ليل والجو هادي ومفيش غير صوت بقه وهو بيمضغ الأكل، كان جعان لدرجة إنه خلّص أول رغيف بسرعة ومد إيده ناحية الكيس عشان ياخد رغيف تاني لكن الكيس كان فاضي!

اتعدل في قعدته واتحسس الكيس مرة واتنين وقلبه على الأرض لكن مفيش غير فتات صغير من العيش، الرغيفين اختفوا!

قام وقف وبص تحت العربية حوالين الكاوتش ووراء الكابينة وحتى ناحية الحمولة، وهو مش فاهم إزاي رغيفين عيش يختفوا من قدامه في ثواني!

فضل يدور بنور كشاف الموبايل وهو فاكر إنه عقله بيخدعه زي كل مرة، ويكون حط العيش في مكان ما ونسي، لكنه كان متأكد إنه حط التلات أرغفه قدامه، راحوا فين؟!

بعدها ما فاقش غير بعد يومين وهو نايم على سريره في البيت!

التباع هو اللي صحي على صوت العربية وهي واقفة وعم أسعد مش موجود!

نزل يدور عليه لكنه ملقيهوش، بدأ يدور يمين وشمال لحد ما طلع تليفونه ورن عليه وسمع رنة التليفون بصوت ضعيف وراء العربية، ولما راح ناحيتها لقى عم أسعد مرمي على الأرض!

بعد يومين عم أسعد فتح عينيه على أهله وهم واقفين حواليه، جسمه مرهق ووشه أصفر ومكانش أسعد خالص اللي طلع من البيت في آخر رحلة..

من أول يوم بقى ياكل بشكل مش طبيعي!

رغيف ورا رغيف، وكل ما يخلص كمية كبيرة من العيش يقول إنه لسه جعان!

أهله في البداية افتكروا إن جسمه محتاج يعوض اليومين اللي ما أكلش فيهم، لكن اللي حصل بعد كده كان غريب جدا..

كان بياكل ومبيشبعش!

الحاجات دي عرفتها لما سمعت صوت باب البيت بيخبط بعد أسبوع من وجودي في القرية، ولما فتحت لقيت راجل عليه علامات القلق والأسف مع بعض، قالي إنه كان مع الحاضرين في مشكلة فلانة بنت فلان، كان بيتكلم كأنه بيفكرني، ولما هزيت راسي إني فاكر وكدا راح طلب مني أروح معاه بيت نسيبه لأنه مش طبيعي وشاكين إنه ملبوس!

رحت معاه ولما دخلت البيت لقيت الراجل قاعد على طرف السرير، وجمبه اتنين كمان، ابنه وابن أخته، الاتنين كانوا قاعدين ساكتين وعيونهم متعلقة بيا من أول لحظة دخلت، كأنهم شايفين فيا آخر فرصة للنجاة.

قربت من السواق وسلمت عليه وقعدت جنبه، حاولت أفتح معاه كلام وسألته عن اللي حصل في الطريق، وعن آخر حاجة فاكرها قبل ما يفقد وعيه، فكان يرد على كلمة أو اتنين وبعدها يسكت فجأة ويبص قدامه كأنه نسي السؤال أصلا أو نسي كنا بنتكلم في إيه!

أسأله عن شيء تاني مثلا فيجاوبني وبعدين يضيع منه باقي الكلام!

وأنا بتكلم معاه كنت مركز في عينيه، حركة عينيه كانت أسرع من الطبيعي، مرة يبصلي ومرة يبص ناحية الباب ومرة يثبت نظره في نقطة فاضية قدامه، وساعتها اتأكدت إن الراجل مش لوحده، فيه جن معاه!

جن الطرق وما أدراكم ما جن الطرق!

بدأت أقرأ عليه قرآن وبعدها دخلت في آيات الحرق، الجن اللي معاه استجاب بس أوقات كان يصرخ وأوقات يضحك، وبدأ يتكلم معايا ويقولي إنت ساحر، إنت جيت القرية بتاعتنا ليه؟

وقتها الكل بص عليا وتقريبا صدقوا كلامه، شرحتلهم بكلمات قليلة إن الجن اللي عليه بيحاول يشككنا في بعضنا عشان ننساه ويفلت هو، هزوا راسهم بالموافقة لكن كان كلامه لسه عالق في دماغهم..

فضلت على الحال دا نص ساعة بدون فايدة، لحد ما قررت إني استعين بجرموق..

ناديت عليه بصوت واطي، حسيت بحضوره ورايا على الشمال، همستله إنه يتصرّف وفي اللحظة اللي وراها جسم الراجل ارتخى فجأة ورأسه وقعت على صدره، ودخل في غيبوبة..

بعدها بدأ صوت نفسه يتغير وبقه يطلع منه رغاوي!

أهله اتخضوا وجريوا عليه، حاولت أهديهم مع إني كنت قلقان أكتر منهم..

قلت لهم ماتخافوش، هو هيبقى كويس لكن الحقيقة إني كنت خايف أكتر منهم..

وأنا ببص على الراجل كانت فكرة واحدة بتلف في دماغي، لو الراجل مات محدش هنا هيفكر يبلغ شرطة ولا مباحث دول هيدفنوني أنا معاه..

فجاة ظهر جرموق وانتشلني من كل الأفكار السوداوية اللي كنت بفكر فيها..

كان واقف قدامي وهو ماسك حاجة في إيده، ولما ركزت فيها بدأت ملامحها تظهر، كان مربوط ومتكتف، جسمه منهك بشكل واضح، كأنه كان خارج من معركة طويلة..

وجرموق واقف فوقه ومثبت جسمه برجله، والجن بيحاول يتحرك من غير فايدة، وكل ما يحاول يفلت كان جرموق يضغط عليه أكتر، طلبت من جرموق ياخده ويتحفظ عليه لحد ما استدعيه تاني

بعدها بلحظات عم أسعد فتح عنيه وهو بيحاول يفهم إيه اللي حصل، خدوه ودخلوا بيه الحمام غسلوا وشه وكان واضح عليه إنه أحسن من الأول خصوصا بعد الأسئلة اللي سألهاله ابنه وكان بيتفاعل على كل سؤال كأنه طبيعي جدا لكن صوته كان مازال ضعيف وبيطلع منه بالعافية..

قعدت معاهم شوية لحد ما اتطمنوا عليه وبعدين خرجت من عنده وسط دعوات أهله وفرحتهم..

رجعت البيت وأنا بفكر في اللي حصل، وكنت فرحان من جوايا، افتكرت جرموق واستدعيته، ظهر وهو معاه الجن مازال متكتف ومستسلم بعد ما عرف إنه مش هيقدر يهرب من قبضة جرموق، كان المفروض أحرق الجن ده واتخلّص منه، لكني افتكرت إني لسه جديد في القرية، ومش عاوز تحصل عداوة بيني وبين قبيلة الجني دا لأن وارد جدا عدد من قبيلته يحضروا يطالبوا بالثأر ولما ميقدروش عليا يروحوا يعيثوا في القرية فسادا وتتصاب ناس ملهاش ذنب..

قربت منه وقلت له هسيبك المرة دي، بس بعد ما تديني العهد إنك مش هتقرب للسواق تاني، ولا هتدخل جسمه، ولا هتأذيه بأي شكل..

أخدت منه العهد وبعدها قولت لجرموق يفكه..

الجن وقع على الأرض وهو منهك وفضل لحظات مش قادر يتحرك وبعدها اختفى من قدامي كأنه ماكانش موجود..

-

حوالي الساعة اتنين بعد نص الليل، محروس وحسن قاعدين في قلب الغيط مستنيين مكنة الري تخلص سقي الأرض، المكنة شغالة بصوتها العالي اللي شبه ضربات بندقية آلية بتقطع سكون الليل، المياه بتجري من الترعة الصغيرة وتدخل تستخبى في الأرض المبذورة..

الهوا البارد بيحرك عيدان الذرة حوالينهم حركة خفيفة، محروس قاعد على قالبين طوب جمب بعض وبيشرب في سيجارته، وحسن ممدد جنبه على شوال دقيق فارغ وكل شوية يرفع راسه يبص على المكنة ويرجع مكانه..

وفي مرة من المرات اللي بيرفع فيها حسن راسه ويرجع ينام تاني راح قال لمحروس بص كدا هناك..

محروس شال السيجارة من بقه ورفع عينه ناحية آخر الغيط للمكان اللي بيشاور فيه حسن، فشاف اتنين جايين عليهم من بعيد، راكبين حمارتين وبيتحركوا ناحيتهم ببطء..

ضوء القمر كان كفاية إنه يوضح أشكالهم، لكن ملامحهم كانت مستخبيه في الضلمة، في البداية ما اهتموش وافتكروهم اتنين عاديين جايين لأي سبب من الأسباب، لكن بعد ثواني حسن لاحظ حاجة غريبة، الاتنين ماشيين جمب بعض بنفس السرعة، الحمارتين منسجمين جدا،

الحركة واحدة بشكل ملفت للنظر، فضل قاعد ساند على إيده وهو متابعهم بيقربوا ناحيتهم وفجأة الراجل اللي على اليمين نزل من فوق الحمارة وبهدوء غريب انحنى ومد إيديه تحت جسمها وشالها على كتفه وكمل مشي جمب صاحبه!

حسن افتكر إن عينه خانته، اتعدل في قعدته وفرك عنيه ورجع يبص تاني الحمارة كانت فعلا فوق كتف الراجل رجليها متدليين على صدره ورقبتها مائلة على ضهره من ورا، وهو ماشي بيها كأنها في وزن طفل صغير، لا الحمارة معترضة ولا الراجل باين عليه أي مجهود، والتاني ماشي جمبهم ومكمل برضو بنفس السرعة!

محروس كان بيكمل سيجارته ومش واخد باله من الموقف، حسن قال بصوت واطي وهو لسه باصص عليهم وموجه كلامه لمحروس "دول مش ناس"

كان عارف إن الزرع بالليل بتحصل فيه مواقف مش طبيعية، قصص كتير اتحكتله من الجدود وجدود الجدود، لكنه كان خايف على محروس اللي قلبه ضعيف وممكن موقف زي دا يأذيه..

محروس رفع عينه وبص عليهم تاني، أول ما شاف الراجل شايل الحمارة فوق كتفه، وحسن قاعد جنبه متجمد وكاتم نفسه، راح صرخ وقام يجرى ناحية الطريق، دخل وسط عيدان الذرة من غير ما يفكر، الزرع كان عالي لدرجة إنه كان بيخبط في وشه وبيجرح دراعاته، الخوف مخلاهوش يحس بحاجه، كل اللي كان عايز يعمله إنه يهرب من المكان بأي شكل..

كان بيسمع صوت خطواته وهو بيخبط في الأرض، وأنفاسه طالعة متقطعة وفجأة سمع صوت تكسير وراه عود ذرة اتكسر وبعده واحد تاني، وبعدهم عشرات الأعواد بدأت تتكسر ورا بعض، الأدرينالين كان بيجري في دمه والصوت بيخلي رجليه يسابقوا الزمن كأنه طاير على الأرض لكن الصوت كان بيقرب منه بسرعة، كأن ثور هايج ضخم بيجري وراه عايز يدوسه وكل ما محروس يسرع كان صوت التكسير بيقرب أكتر وأكتر، عقله مستحملش أكتر من كدا وحب يخلّص محروس من هول الموقف اللي هو فيه، وعشان يساعده خلاه يقع على الأرض فاقد الوعي..

حسن كان شايف الموقف وسامع اللي بيحصل، بيبص في الناحية اللي جري فيها محروس وبعدها بيبص قدامه ناحية الاتنين اللي بقوا واحد بس واقف وشايل الحمارة على كتفه وباصص ناحية حسن!

أول ما صوت التكسير اختفى، بص ناحية الذرة بيحاول يتطمن بعينه ولما رجع بص قدامه تاني لقى الراجل اختفى!

حسن رجع يجري ناحية القرية، وصل وهو بيخبط على الأبواب وبيصرخ، وبعد دقايق بقت الناس تبص من الشبابيك تشوف بيحصل إيه، سمعوا القصة وهو بيحكيها لواحد منهم، وبعدها الكل نزل وكل واحد ماسك كشاف كبير واتجهوا للغيط...

دخلوا بين عيدان الذرة ينادوا على محروس، انتشروا في كل الأماكن، لحد ما واحد فيهم قال بصوت عالي "لقيته"

كان محروس مرمي على الأرض فاقد الوعي وهدومه كلها تراب، في خدّه خدوش طويلة، شالوه بينهم وخرجوا بيه من الغيط، ورجعوا بيه على البيت..

حطوه على سريره وهو لسه فاقد الوعي، في البداية افتكروا إنه أغمي عليه من الخوف والإرهاق، لكن بعد دقائق واحد منهم حط إيده على جبهته وسحبها بسرعة وقال

"يا ساتر يارب دا نار"

حرارته كانت بتعلى بشكل واضح ووشه بقى أحمر، وجسمه كله عرق ومع ذلك كان بيرتعش كأنه بردان حاولوا يفوقوه، نادوا عليه وهزوه، لكنه ما استجابش وبعد شويه بدأ يتكلم وهو مغمض عينيه، كلام متقطع ومش مفهوم، كأنه شايف حاجة محدش شايفها، مرة يقول حماره، ومرة يقول ابعدوها عني، ومرة يصرخ كأنه شاف حاجه رعبته..

فضل محروس على الحال دا، حرارته تعلا وتنزل بدون سبب، عملوله كمادات، لكن بدون فايدة، كل شوية محروس كان يفتح عينيه نص فتحة لكن عينيه ماكانتش بتشوف اللي حواليه، كان بيبص في مكان بعيد جوه الأوضة ويتابع حاجة بتتحرك قدامه هو بس اللي شايفها وبعد ثواني راسه ترجع تترمي على المخده تاني..

وأول الشمس ما طلعت حسن ساب محروس لأهله وجري ناحية بيتي..

خبط على الباب بعنف ولما فتحت له، كان واقف قدامي ووشه أصفر من الخوف، وقبل ما اتكلم لقيته بيترجاني ويقولي الحقني، صاحبي اتلبس، حالته خلتني اطلع معاه على طول بدون تفكير وفي الطريق لبيت صاحبه حكالي كل اللي حصل..

وصلنا البيت ودخلت على محروس لقيته ممدد على السرير ووشه أحمر من الحرارة، وأهله واقفين حواليه، وكل شوية واحد منهم يقرب منه يحاول يفوقه لكن بدون فايه، قربت منه وحطيت إيدي على جبينه، وبعدها بصيت في عينيه، كانت مفتوحة نص فتحة لكن هو ماكانش شايفني، كان باصص في مكان ورايا وبيتابع حاجه بتتحرك قدامه وبصوت متقطع قال "هما لسه واقفين عند الغيط"

سألته مين دول؟

قال "الاتنين اللي راكبين حمير"

بصيت في وجوه الناس الكبيرة اللي واقفه عشان حد منهم يقول تفسير للي حصل، فهموا كلامي واللي اتكلم فيهم كان أكبرهم سنا، حكى عن قصة تار حصلت زمان، كانوا اتنين أصحاب واحد منهم رايح الأرض والتاني رايح معاه يونسّه، صاحب الأرض كان هو المقصود بالقتل، مشاكل بين أبوه وعمه على الأرض، ابن عمه قال طالما مش قادرين ناخد حقنا بالذوق يبقى أحرق قلب عمي على ابنه، فضل مستخبي وسط الزرع لحد ما الاتنين بقوا في مرمى بصره، رفع السلاح ناحيتهم، إيده كان بتترعش، قرار القتل صعب ولحظة القتل أصعب، أول طلقة طلعت راحت في الكتف، التانية جات في الحماره، الواد حس إن الفرصة هتضيع منه والشيطان كان هو اللي مسيطر على عقله راح طالع من وسط الزرع يجري ناحيتهم وقتل الاتنين واختفى، مرجعش لأهله، هرب ودا اللي خلّا الناس عرفت إنه هو القاتل..

طلبت من الناس يخرجوا من الأوضة ويستنوا بره ويقعد واحد أو اتنين، وبالفعل كله خرج ما عدا أبو محروس وحسن فضلوا واقفين كل واحد فيهم في ركن..

قعدت جنب السرير وبصيت لمحروس اللي كان لسه مغمض عينيه وجسمه سخن بشكل يخوف، حطيت إيدي على صدره وغمضت عيني واستدعيت مرهوب بعد ثواني حسيت بوجوده واقف ورايا، قولتله شوف اللي جواه من غير ما تأذيه، وبعد لحظات قالي اللي فيه مش جن، لكن فيه جن في مكان في القرية هو اللي بيتواصل معاه وبينهم زي حبل طاقة ودا السبب اللي بيخلي محروس يهلوس وكمان بيشوفه..

قولتله يقطع حبل الطاقة دا بدون ما يفقد أثر الجن اللي في الطرف التاني، مرهوب قرّب من محروس وحط إيده فوق راسه، وفي اللحظة دي جسم محروس اتشنج بعنف وبدأ يتنفس بسرعة وفتح بقه وخرج منه أصوات غريبة، أمه كانت واقفه بره سمعته وصرخت تطلب مننا

تدخل تشوف ابنها لكني قولتلهم محدش يفتحلها، مرهوب فضل ثابت مكانه وكأنه بيشد حاجة من جوه جسم محروس، وبعد ثواني جسم محروس ارتخى فجأة كأنه ما صدّق ارتاح..

ولما مرهوب رجع خطوة وقال قطعته، بصيت لمحروس لقيته بيتنفس بهدوء لأول مرة من وقت كبير..

طمنتهم وقولتلهم يسيبوه يرتاح شوية وبعدين هيبقى كويس، مرهوب اختفى بعد ما حس إنه مش عاوزه تاني..

وأنا خارج من البيت حسن لحقني عند الباب وقال لي يعني إنت مش هتروح الغيط وتشوف اللي بيحصل هناك؟

بصيتله وقلتله أنا جيت عشان صاحبك وكان محتاجني وأنا عملت اللي أقدر عليه، أما اللي حصل في الغيط فدي حكاية تانية، وأهل البلد عارفينها من سنين ومش كل حاجة غريبة لازم نحشر نفسنا فيها..

في أول شهور السنة كنت مبسوط بالهدوء، وبدأت أستقبل الناس وأحاول أساعدهم على قد ما أقدر وكنت فاكر إن العلاج هيخليني أنسى كل اللي حصل، لكن بعد فترة بدأت أحس بملل غريب مش من الناس نفسها ولا من رغبتهم في المساعدة، لكن من تكرار نفس الحكايات كل يوم تقريبا نفس الشكاوى!

واحدة بتقول إنها بتسمع صوت حد بينانيها وهي نايمة، وواحد مقتنع إن حد بيمشي وراه لما بيروح الزرع بالليل، وواحدة شايفة إن البيت فيه حاجة غريبة ومش متطمنة لحماتها، ولما أقعد أسمع وأفحص وأدور ألاقي إن أغلب الحالات ملهاش علاقة بالجن أصلا!

إرهاق وخوف ومشاكل أسرية أو مجرد عقل بيحاول يفسر حاجة هو مش فاهمها، ومع الوقت بدأت أحس إن كل اللي اتعلمته خلال السنين اللي فاتت بيتحط قدامي عشان أحل مشاكل البشر العادية، وكأني خدت أجازة سنة كاملة عشان أقضيها في نفس المكان اللي كنت بحاول أهرب منه..

في البداية كنت بضحك على نفسي وأقول دي فترة وهتعدي، لكن مع مرور الأيام بقيت أفتح عيني الصبح وأنا مش متحمس أقابل حد، بقيت أسمع أول شكوى وأعرف نهايتها قبل ما صاحبها يكمل كلامه، وبقيت أفتكر أيام المغامرات، لما ببقى داخل فيها على حاجة مجهولة ومش عارف هخرج منها إزاي..

أيوه كنت بخاف وقتها، لكن عمري ما حسيت بالملل وبصراحة اشتقت لشعور المغامرة من تاني، الحياة بدون مغامرات ملهاش لازمة..

وفي ليلة كنت قاعد لوحدي بعد ما خلصت آخر حالة عندي، البيت كان ساكت والساعة قربت من منتصف الليل، لقيت نفسي من غير ما أقصد بفتح الموبايل وبقلب في الصور القديمة، لحد ما وقعت عيني على صورة كنت مصورها للخريطة اللي ظهرت في الكتاب، "جواهر البيان في تسخير الجان" فضلت باصص عليها فترة طويلة، الذكريات رجعتلي من تاني، وبدأ يصحى جوايا شعور آخر مغامرة، افتكرت رسالة التحذير، كنت على بعد خطوات من اكتشاف سر كبير منعوني من معرفته، لحد امتى هفضل تابع؟

قفلت الصورة لكن الفكرة كانت خلاص دخلت دماغي، حاولت أطردها وقلت لنفسي إن الموضوع انتهى، أنا وعدت، والقبائل ادتني سنة كاملة من غير مهام وأنا وافقت، لكن بعد دقيقة فتحت الصورة تاني، وبدأت أسأل نفسي السؤال اللي كنت بهرب منه من يوم ما خرجت من الجبل، ماذا لو كان سلهب لسه هناك فعلا؟

ماذا لو كان كل اللي حصل مجرد اختبار وأنا فشلت فيه لأني رجعت؟ وماذا لو كانت الفرصة الوحيدة لمعرفة الحقيقة راحت مني بسبب خوفي من مخالفة أمر واضح؟

قعدت ساكت شوية وبعدين ضحكت ضحكة قصيرة وأنا بهز راسي، لأن الحقيقة كانت أبسط من كل الأسئلة دي، الحقيقة مش بتبان غير للي بيدور عليها..

قمت من مكاني وروحت ناحية المكان اللي محتفظ فيه بالحاجات القديمة، طلعت الكتاب وحطيته قدامي، وقعدت أبص للغلاف البني الغامق كأني مستني منه إجابة، مررت إيدي على جلده القديم وقلت لنفسي إنهم قالوا لي متحاولش تبحث عن سلهب تاني، لكنهم نسيوا حاجة واحدة، نسيوا إني من الإنس، والإنس بالنسبالة الممنوع مرغوب، زي ما حصل في الخطيئة الأولى للبشر..

فتحت الكتاب على الصفحة اللي فيها اسم سلهب، وكانت الكلمات زي ما هي مفيش حرف اتحرك مفيش هامش جديد ظهر، ومفيش علامة تدلني على الطريق، لكني المرة دي مكنتش محتاج الكتاب يدلني، أنا كنت عارف الطريق وعارف المكان، وعارف إن الرجوع مش هيكون سهل زي المرة الأولى..

فضلت عيني على اسم سلهب وأنا بفكر في كل حاجة ممكن تحصل لو رجعت، ممكن القبائل تعتبر ده تمرد، ممكن أتعاقب، وممكن أسوأ من كده، ممكن أكتشف إن كل اللي صدقته عن سلهب كان غلط!

خوفت فجأة وكنت هقفل الكتاب واتخلص من الفضول المفاجئ اللي ممكن يتسبب في هلاكي، لكن رغم كل الاحتمالات دي، كان فيه احتمال واحد بس مش قادر أتجاهله، إن سلهب فعلا مظلوم، وإن فيه جني محبوس من قرون وأنا الوحيد تقريبا اللي عرف بوجوده ووصل لمكانه، ومع ذلك سبت الباب ومشيت!

قفلت الكتاب وقمت من على الكرسي وأنا في اللحظة دي كنت خلاص أخدت قراري

أنا مش هنتظر سنة تخلص من عمري وأنا مدفون هنا..

أنا راجع لسلهب، واللي يحصل يحصل..

استدعيت مرهوب وجرموق وفي خلال ثواني ظهروا قدامي، لكن المرة دي مفيش واحد فيهم سألني أنا عايز إيه، الاتنين فضلوا باصين لي في هدوء غريب وكأنهم كانوا عارفين من قبل ما يظهروا أنا ناوي على إيه، جرموق بص للكتاب المقفول قدامي، وبعدها رفع عينه لوشي وقال إنت قررت ترجع؟ مكنتش محتاج أجاوبه، لأن نظرة عيني كانت كفاية، ومرهوب اتنهد وقال كنت عارف إن السنة دي مش هتخلص من غير ما تعملها، ابتسمت وقلت له يبقى بلاش كلام كتير، أنا مش جايبكم أطلب رأيكم..

في اللحظة اللي خلصت فيها كلامي حسيت بالهوا حواليا اتغير، وبرودة غريبة ظهرت في المكان كأن حد فتح باب على شتاء عمره آلاف السنين، مرهوب لف راسه ناحيتي وقال امسك كويس كنت وقتها اتعلقت في رقبته وجسمه من ورا زي المرة اللي الفاتت، وبعدها حسيت بالأرض بتختفي من تحت رجلي مفيش وقت عشان أفكر ولا حتى ثانية عشان أغمض عيني، كل اللي حسيت بيه إن جسمي اتسحب من مكاني كأن الدنيا كلها اتطوت حوالينا، ولما فتحت عيني كنت واقف وسط التلج من تاني..

المرة دي مكنتش محتاج حد يدلني على الطريق، كنت فاكر كل حاجة، مشيت قدامهم لحد ما وصلنا للفتحة الصغيرة اللي دخلنا منها أول مرة، وبعدها بدأنا ننزل درجة ورا درجة، والسلالم كانت أطول مما كنت فاكر أو يمكن أنا اللي كنت متوتر أكتر، كل ما ننزل درجة كانت أصوات الرياح اللي فوقنا بتختفي أكتر، والبرد بيتحول تدريجيا لحرارة خانقة، جرموق

كان ماشي قدامي ومرهوب ورايا، وأنا في النص وكل واحد فينا ساكت، كأننا مش عايزين نوقظ حاجة موجودة تحتنا..

فضلنا ننزل وقت طويل لحد ما ظهر قدامنا الضوء الخافت اللي افتكرته كويس، وفي آخر السلالم كان المكان نفسه نفس الجدران الحجرية نفس الهدوء ونفس الباب الأسود الضخم اللي وقفنا قدامه في المرة الأولى، وقفت لحظة وأنا ببص عليه وافتكرت كل حاجة حصلت هنا، لكن قبل ما أمد إيدي، جه الصوت من الناحية التانية نفس الصوت العميق اللي سمعناه قبل كده، وقال بنفس الهدوء "سلهب ليس هنا"

بصيت لجرموق ومرهوب، وبعدها قربت خطوة من الباب وقلت "أنا عارف"

ساد الصمت للحظات، وبعدها قلت وأنا ببص للباب

"المرة اللي فاتت كنت فاكر إن سلهب موجود ورا الباب دلوقتي أنا عارف إنه مش هنا، وعشان كده أنا مش جاي أسألك عنه"

الصوت سكت ومردش، فكمّلت " أنا جاي أعرف مين اللي حبسه"

الصوت للأسف مجاوبنيش، وحسيت إني مهما فضلت واقف قدام الباب مستني رد، مفيش أي حاجة هتحصل، كل شيء سكت حتى الصدى اختفى كأن الجبل نفسه قرر مايدينيش إجابة، بصيت لمرهوب وجرموق وقلت لهم يبقى ندور بنفسنا، مفيش سبب يخلينا نرجع وإحنا وصلنا لحد هنا، وبدأنا نفتش المكان من جديد لكن المرة دي مكنتش بدور على قبر أو باب، كنت بدور على أي حاجة ممكن تكون اتسابت عشان تدلنا على مكان سلهب، فتشت الجدران والحجارة والزوايا الضيقة، وجرموق كان بيمرر إيده على النقوش القديمة، ومرهوب كان بيتفحص الأرض كأنه بيدور على أثر مخفي، وكل ما نكتشف علامة أو كتابة كانت بتطلع مالهاش علاقة بسلهب، لحد ما بدأت أحس إننا بندور في المكان الغلط من الأساس..

قعدت على الأرض قدام الباب الأسود وبصيت للمكان حواليا، وافتكرت الجملة اللي كانت مكتوبة في الكتاب، الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس وقتها فهمت إننا أخدنا الجملة بمعناها الحرفي لكن يمكن الكاتب مكانش بيتكلم عن جبل واحد، يمكن كان بيحكي عن مكان كامل جبل فوق جبل مثلا، وسجن ورا سجن، رفعت راسي وبصيت للجدار الصخري اللي قدامنا، كان شكله طبيعي جدا، لكن حاجة صغيرة لفتت نظري واحدة من الصخور كانت مختلفة عن باقي

الصخور، لونها غامق وحوافها منتظمة بشكل غريب، قربت منها وحطيت إيدي عليها، ولأول مرة حسيت بتيار بارد خارج من الصخر نفسه!

ناديت جرموق وقلت له تعالى شوف، قرب مني وفضل يبص للحجر فترة وبعدها حط إيده عليه وسكت، قلتله فيه إيه؟

رد بصوت منخفض الصخر ده مش طبيعي، مرهوب قرب هو كمان، ولما لمس الحجر اتراجع خطوة وقال دي مش صخرة، دي طبقة إخفاء!

بصيتلهم باستغراب وقلت يعني إيه طبقة إخفاء؟

جرموق رد إن بعض الأماكن القديمة كان بيتم إخفاءها عن أعين الجن والبشر، مش بس بباب أو ختم، لكن بتحوير شكل المكان نفسه، بحيث اللي بيبص للجبل يشوف جبل واحد بينما الحقيقة ممكن يكون فيه جبل تاني وراه متداري فيه أو اللي اختار المكان حب يوهم الناس بكدا..

بدأنا نفتش حوالين الصخرة ولما ضغطت عليها في مكان معين اتحرك جزء صغير منها للداخل، وبعدها سمعنا صوت احتكاك حجر بحجر جاي من عمق الجبل، الأرض اهتزت تحت رجلينا وظهر شق أسود ضيق بين الصخور، ومن الشق خرج هوا بارد جدا لكن الغريب إن الهوا مكنش جاي من داخل الجبل اللي إحنا واقفين فيه، كان جاي من مكان أبعد، كأن فيه فراغ ضخم موجود وراء الجبل!

دخلنا الشق دا، جرموق كان من قدام وأنا في النص ومرهوب ورايا، مشينا في ممر ضيق لحد ما بدأ الضوء اللي ورانا يختفي، وبعد مسافة قصيرة وصلنا لمكان واسع بشكل مستحيل، وقفت مكاني وأنا مش قادر أستوعب اللي شايفه لأن قدامنا كان فيه جدار صخري ضخم، ولما قربنا منه اكتشفنا إن الجدار ده مش نهاية الممر دا كان وجه جبل كامل، وجبل تاني واقف خلف الجبل الأول ومخفي عنه تماما!

رفعت عيني لفوق ووقتها فهمت ليه الكتاب قال الجبل الذي لا تشرق عليه الشمس، لأن الجبل اللي إحنا جايين منه كان بيحجب الشمس عن المكان اللي وراه طوال اليوم تقريبا، لكن الحاجة اللي خلت الدم يتجمد في عروقي مكانتش شكل الجبل الجديد، كانت العلامة المحفورة عليه من فوق، نفس العلامة اللي شفتها قبل كده في الهامش جنب اسم سلهب..

بصيت لجرموق ومرهوب وقلتلهم بهدوء وانتصار، شكلنا كدا لقينا سلهب..

مرهوب بص للعلامة ورفع عينه للجبل المخفي وقال اللي اختار المكان دا عشان يسجن فيه سلهب دا لو كان فعلا مسجون فيه، شخص عبقري..

مشينا ناحية الجبل التاني وكل خطوة كنا بناخدها كانت بتخليني أحس إننا بنخرج من عالم وندخل عالم تاني مفيش صوت رياح ولا حركة حيوانات ولا حتى صوت خطواتنا على الأرض، كأن المكان كله كان ساكت ومستني اللحظة اللي نوصل فيها ولما وصلنا عند سفح الجبل لقينا إن مفيش أي مدخل ظاهر، يادوب مجرد جدار صخري ضخم ممتد قدامنا لحد ما العين متقدرش تحدد نهايته، فضلت أبص يمين وشمال وأنا بحاول أكتشف أي حاجة ممكن تدلنا على وجود سلهب، لكن مفيش حاجة لحد ما جرموق وقف فجأة ورفع إيده وقال استنوا..

سكتنا كلنا وفي البداية مكنتش سامع غير أنفاسي، لكن بعد ثواني بدأت أسمع صوت خافت جدا جاي من تحت الأرض، صوت منتظم كأنه ضربات بطيئة على معدن، ضربة وسكون ضربة وسكون، قربت من المكان وأنا مركز في الصوت، وكل ما أقرب كان الصوت بيزيد وضوح، لحد ما وقفت فوق نقطة معينة في الأرض، وهنا حصلت حاجة غريبة جدا، الصوت اختفى خالص!

فضلنا واقفين في صمت وأنا لسه باصص للأرض تحت رجلي، مش فاهم الصوت اختفى ليه بالظبط!

لكن مرهوب فجأة نزل على ركبته وحط إيده على الأرض وجرموق عمل زيه من الناحية التانية والاتنين فضلوا ساكتين كأنهم بيسمعوا حاجة أنا مش قادر أسمعها، وبعد ثواني مرهوب رفع عينه وبصلي وقال الصوت كان جاي من هنا، هزيت راسي موافق على كلامه بدون ما اتكلم، وبعدها من غير ما يستنى بدأ يحفر بإيده في التراب والحصى، وجرموق حفر جنبه وكل واحد فيهم كان بيشيل التراب بسرعة غريبة كأنهم اتحولوا لآلات حفر وأنا وقفت فوقهم أراقبهم وكل شوية كنت أسمع صوت الحجارة وهي بتتكسر تحت إيديهم، كانت حجارة غريبة جدا عليا، غير كل الحجارة اللي شوفتها ودرستها في حياتي كلها، لحد ما مرهوب فجأة وقف ومد إيده جوه الحفرة وقال استنوا..

قربت منهم وأنا بحاول أشوف هو لقى إيه لقيت طبقة من الحجر الأسود مستوي بشكل غريب، مش شبه أي حجر حوالينا، وجرموق بدأ ينضف سطحه بإيده، وكل ما التراب يتشال كانت بتظهر عليه خطوط محفورة، فضلت أراقبهم لحد ما ظهر شكل كامل قدامنا كان عبارة عن دائرة كبيرة وفي منتصفها رسم لرجل واقف، وحواليه سلاسل ملتفة من كل ناحية، لكن

الحاجة اللي خلتني أتجمد مكاني إن الرجل المرسوم كان رافع رأسه ناحية السماء، وفوق رأسه كلمة واحدة مكتوبة بلغة قديمة!

جرموق فضل ساكت وهو بيحاول يقراها، وبعد لحظات قال بصوت منخفض

سلهب

نزلت على ركبتي جنبهم وبصيت للحجر، وبدأت أحس إن ضربات قلبي بتزيد، قلت له يعني إيه؟

رد وهو بيمرر إيده على الكتابة، دي علامة سجن وقبل ما اتكلم وارد عليه سمعنا الصوت من تحت الحجر مرة تانية، ضربة واحدة قوية، الحجر اللي تحت إيدينا اتهز، ومرهوب رجع خطوة لورا وجرموق بصلي مباشرة وقالوا الاتنين في نفس واحد، احنا واقفين فوقه مباشرة..

مرهوب وجرموق بصوا لبعض وبعدها بدأوا يبعدوا التراب والحجارة من حوالين الحجر الأسود لحد ما ظهر طرفه بالكامل ولما جرموق حط إيده عليه وضغط بقوة فجأة الأرض تحتنا اهتزت مرة واحدة وسمعنا صوت عميق جاي من الأعماق، كأن الجبل نفسه كان بيئن وبعدها بدأ الحجر ينزل ببطء كأنه جزء من الأرض، وظهر تحته سلم حجري ضيق نازل في ظلام أسود مفيش له نهاية باينة، بصيت لجرموق وقلت له هو ده الطريق؟ لكنه مردش، كان باصص لتحت وساكت، ومرهوب قال بصوت منخفض إننا وصلنا للمكان اللي كانوا بيحاولوا يخفوه حتى عن الجن..

لكن قبل ما نبدأ ننزل أول درجة، وبمجرد ما خطر في بالي إننا نزل فجأة ظهر قدامنا شيء خلاني أتجمد مكاني، من آخر السلم خرج ظل أسود طويل بيتحرك بسرعة رهيبة، في البداية افتكرته مجرد انعكاس للظلام اللي تحتنا، لكن الظل بدأ يتحرك وفي ثواني كان واقف قدامنا، اتجمع قدامنا في هيئة جن ضخم، جسمه كان أعرض من جسم مرهوب وجرموق مع بعض، وملامحه بالكاد باينة وسط هالة سودا كانت بتتحرك حوالين جسده كأنها دخان حي، عيناه كانوا مضيئتين بلون غريب ومخيف، وإيديه طويلة بشكل غير طبيعي، وفي اللحظة اللي ظهر فيها مداش لنا حتى فرصة نستوعب وجوده، اندفع ناحية مرهوب بسرعة صادمة، وضربه ضربة طيرته من مكانه!

جرموق اندفع ناحيته في نفس اللحظة لكنه لف بجسمه بسرعة وأطلق من إيده موجة من الطاقة المظلمة، اصطدمت بجرموق ورفعته عن الأرض، أنا حسيت بقوة رهيبة بتدفعني

للخلف حاولت أثبت رجلي وبعدها بثانية طلعت الخاتم بتاعي ولبسته، لكن قبل ما أعمل أي حاجة لقيته وقف قدامي وهو بيحرك راسه ببطء مرة شمال ومرة يمين وهو مستغرب من وجودي

رفع إيده ناحيتي، وفي اللحظة اللي نزلت فيها الضربة حسيت من قوة الضربة إن الهوا اختفى من حواليا وإني غبت عن الوعي!

اترميت على الأرض زي الميت، رفعت عيني وأنا بأخذ نفسي بصعوبة لقيته واقف فوقي، مفيش كلمة خرجت منه مفيش تهديد ولا سؤال ولا حتى نظرة تردد، كان بيتحرك كأنه مخلوق واحد اتخلق لغرض واحد بس، منع أي شيء من الوصول إلى ما تحت الجبل، وفجأة مد إيده ناحيتي مرة تانية لكن قبل ما توصلني الضربة، ظهر مرهوب من جانبه وضربه بكل قوته فاهتز جسد الحارس ورجع خطوة واحدة للخلف وكان باين إن الضربة مأثرتش فيه، جرموق استغل اللحظة وهجم عليه من الناحية التانية لكن الحارس فتح ذراعيه فجأة وانفجرت من حوله موجة سوداء هائلة دفعتنا إحنا التلاتة في اتجاهات مختلفة!

احنا التلاتة اترمينا على الأرض في اتجاهات مختلفة، حسيت بجسمي بيتقلب لحد ما اصطدمت بصخرة ناتئة في الأرض، حاولت أقوم لكن رجلي خانتني، على الرغم من إني لابس الخاتم واللي افتكرت إنه ممكن يساعدني في وقت زي دا لكن خاب ظنّي..

رفعت عيني لقيت مرهوب واقع على بعد أمتار مني وجرموق بيحاول يقوم وهو ماسك كتفه وبيتألم، أما الحارس فكان واقف في مكانه كأنه مفيش حاجة حصلت، نقّل عينه بينا احنا التلاته كأنه بيختار الفريسة اللي هيبدأ بيها، لحد ما عينه استقرت عليا وبدأ يتحرك ناحيتي بخطوات بطيئة، الطاقة اللي بتخرج منه كانت رهيبة، دخان أسود بيلتف حوالين جسمه في موجات متكررة وبطيئة، حاولت أمد إيدي وارسم أي طلسم من اللي اتعلمتهم لكن جسمي كان لسه تحت تأثير الضربة وكان شيء بيقولي إن كل اللي اتعلمته مش هيفيدني في المواجهة دي، معرفش إذا كان دا إحباط ولا حقيقة بتتردد في عقلي، أو يمكن كان بسبب الخوف لإني ولأول مرة اتعرض للموقف دا، وفجأة وسط سيل التساؤلات اللي في دماغي شفت الحارس اختفى من قدامي!

في اللحظة اللي رفعت فيها عيني للناحية التانية لقيته واقف فوقي، راسي بين رجليه، حاولت أتحرك لكن مفيش فايدة، وفي اللحظة اللي انقض عليا بإيده فجأة ظهر قدامي حاجز أسود شفاف، الضربة اصطدمت بيه وانفجرت شرارة ضخمة، والحارس بص حواليه شمال

ويمين وهو مش فاهم اللي حصل وفي اللحظة التانية نط للخلف وهو لسه بيبص حواليه وبيتأكد إذا كان الاتنين اللي معايا كل واحد فيهم في مكانه أو حد منهم هو اللي هاجمه!

مرهوب وجرموق كانوا في أماكنهم!

وأنا قولت بصوت واطي وكأني بسأل الفراغ، شدام!

قولتها لإنه الوحيد اللي بيستخدم الحيلة دي لما حد يحاول يهاجمني، الدرع الشفاف اللي لا أنا بشوفه ولا المهاجم بيشوفه..

كنت ببص في كل حته زي الحارس بدور على شدام اللي أنا متأكد إنه كان هو، وبعدها شوفته، واقف ورا الحارس مباشرة..

الحارس محسش بالقوة اللي واقفه وراه غير بعد ثانيتين أو أكتر، شدام بقى أسرع من قدرة الحارس بالإحساس بالطاقة اللي حواليه، وفي اللحظة اللي لف بيها جسمه بقوة عشان يهاجم راح شدام اختفى، وبعد أقل من ثانية الحارس هو كمان اختفى!

في اللحظة اللي بعدها ظهر شدام قدامي فجأة وأنا لسه واقع على الارض والرمل مغطي هدومي، وصدري بيطلع وينزل من التعب، لكن أول ما شوفته نسيت الوجع كله للحظة لأني حسيت إن اللي واقف قدامي مش هو شدام اللي كنت فاكره من شهور، كان فيه حاجة اتغيرت فيه حاجة خلتني أفضل باصص له من غير ما أتكلم، جسمه بقى أقوى ووقفته بقت أثبت وملامحه بقت أحد ووشه بقى فيه هدوء غريب مش هدوء واحد مطمن لكن هدوء واحد شاف حاجات كتير وعدى منها وخرج منها شخص تاني، عينيه كانت مختلفة تماما فيها ثقة ما كانتش موجودة قبل كده وكان واضح إنه مش محتاج يثبت لحد إنه قوي لأنه هو نفسه بقى عارف قوته فين..

واللي شد انتباهي أكتر كان الحاجة اللي حواليه، كنت شايفها بعين البصيرة بشكل خافت جدا، هالة مش واضحة للعين العادية كانت بتلف حوالين جسمه وتختفي وترجع تظهر كأن الطاقة نفسها بتتحرك مع أنفاسه، وكل مرة كان بياخد نفس كنت بحس إن الجو حواليه بيتقل لحظة وبعدين يرجع طبيعي وكأن فيه قوة ساكنة جواه مش بتخرج غير لما هو يسمح لها، وقتها فهمت إن الشهور اللي قضاها بعيد عني ما ضاعتش هدر، شدام كان بيتغير وبيتدرب وبيتعلم وأنا كنت شايف النتيجة قدامي دلوقتي..

قبل ما نتكلم أو أقول كلمة ظهر الحارس وراه فجأة كإعلان عن بداية القتال، لكن شدام حس بيه وقبل ما الحارس يوجهله الضربة راح اختفى وظهر وراه في سرعة خلتنا كلنا نفتح أفواهنا من الصدمة، الحارس صد الضربة بإيده لكنه أبعدته بعض الأمتار عن مكان وقوفه لكن موقعش وفضل واقف..

وقف على بعد كام خطوة من شدام وبص له بنفس النظرة اللي شدام كان باصص له بيها، مفيش واحد فيهم اتحرك ولا واحد فيهم حاول يهاجم، كان كل واحد بيدرس التاني بعينه، الحارس كان مركز في حركة شدام وطريقة وقفته ومكان رجليه وحتى تنفسه، وشدام كان بيراقب الحارس بنفس الهدوء وكأنه بيجمع معلومات عن خصمه قبل ما تبدأ أول هجمة، وأنا كنت واقع وببص من واحد للتاني وحاسس إني قدام معركة مختلفة تماما عن أي حاجة شفتها قبل كده..

الحارس قال جملة بلغة غريبة معرفتش معناها، شدّام سكت شوية ورد عليه بنفس اللغة، كانوا بيتكلموا مع بعض وواضح من النبرة إن مفيش تفاهم بينهم، لإن في لحظة معينة حصل صمت غريب وكأن النقاش انتهى..

الحارس اتحرك نص خطوة لقدام، وشدام في نفس اللحظة اتحرك نص خطوة لقدام، وكأن الاتنين اتفقوا من غير كلام إن الكلام خلص وفجأة اختفوا..

سمعت صوت انفجار قريب مني قبل ما أقدر أشوفهم، وكمية من الرمل اتقذفت في الهوا، ولما رفعت عيني شفت شدام ظاهر فوق الحارس مباشرة والحارس رافع ذراعه بيصد الضربة لكن قوة الاصطدام خلت الأرض تحت رجليه تتشقق وشدام نزل بجسمه كله في الضربة والحارس ثبت نفسه بالعافية وبعدها دفعه بعيد بكل قوته، شدام طار كام متر لكنه لف جسمه في الهوا ونزل على رجليه من غير ما يقع وفي نفس اللحظة الحارس كان اندفع ناحيته..

اتقابلوا في نص المسافة وكانت أول ضربة بينهم أقرب لانفجار هز المكان كله قبضة شدام اصطدمت بقبضة الحارس، والهواء بين الاتنين اتضغط بعنف، والرمل اتطاير حوالين أجسامهم، وبعدها بدأ القتال الحقيقي الحارس ضرب شدام في كتفه وشدام رد عليه بضربة في ضلوعه، الحارس حاول يمسكه لكن شدام اختفى للحظة وظهر على جانبه ووجه له ضربة أجبرته يتراجع خطوتين، لكن الحارس استعاد توازنه بسرعة واختفى هو كمان وظهر خلف شدام وضربه في ظهره لدرجة إن شدام اندفع للأمام ووقع على ركبته..

قلبي اتقبض وأنا شايفه بيحاول يقوم، لكن الحارس ما ادالوش فرصة وانطلق ناحيته بسرعة، شدام رفع إيده وصد الضربة لكن الحارس ضربه من الناحية التانية، وشدام رجع للخلف وهو بيحاول يحافظ على توازنه، وبعدها شدام هو اللي هجم من جديد واتقابل الاتنين في سلسلة ضربات سريعة لدرجة إن عيني ما بقتش قادرة تتابعهم، كنت أشوف ظل يظهر في مكان ويختفي من مكان تاني وصوت الضربات يتردد في المكان وكل مرة كنت أفتكر إن واحد منهم حسم القتال ألاقي التاني بيرجع أقوى ويكمل..

الحارس كان أقوى في بعض الضربات، وشدام كان أسرع في الحركة لكن الفرق بينهم ما كانش كبير، وكل واحد فيهم كان عنده حاجة يقدر يعوض بيها نقصه الحارس عنده خبرة وقوة تحمل، وشدام عنده سرعة وتحكم أكبر في طاقته وكل ضربة كانت بتاخد من الاتنين جزء من طاقتهم وكل ثانية كانت بتخلي المعركة أخطر من اللي قبلها..

في مكان بعيد عننا بخطوات قليلة كان مرهوب وجرموق وصلوا للباب الداخلي للمقبرة، وكانوا بيتحركوا في صمت كامل وكأنهم عارفين إن أي صوت ممكن يلفت انتباه الحارس، لكن الحارس كان غارق في قتاله مع شدام ومشغول بكل حركة قدامه لدرجة إنه ما حسش بيهم وهما بيبعدوا من المكان اللي كان المفروض يكون مستحيل حد يعدي منه، وبعد لحظات اختفى مرهوب وجرموق جوه الظلام ثم ظهروا قدام شيء كان مدفون خلف طبقات من الحجر والطاقة القديمة، شيء ظل ساكت سنين طويلة ينتظر اللحظة اللي يرجع فيها للعالم من جديد

وأنا كنت لسه باصص لشدام والحارس ومش عارف إن اللي كنا بنحاول نوصل له من بداية الرحلة أصبح بالفعل حر طليق!

فجأة الأرض تحتنا اهتزت هزة خفيفة في البداية لدرجة إني افتكرتها مجرد وهم من شدة التعب، لكن بعد ثواني بدأت الرمال تتحرك لوحدها ورا بعضها وكأن فيه حاجة بتتنفس تحتها، رفعت راسي وبصيت لشدام لقيته واقف مكانه وعينه مثبتة على الأرض، والحارس كمان سكت وبص ناحية المكان نفسه وكأنه حس بالحاجة اللي إحنا لسه مش قادرين نفهمها، وبعدها حصلت هزة أقوى خلت الحجارة الصغيرة حوالينا تتقافز كأنها بتغلى زي فقاعات المياه وبدأت الأرض قدامنا تتشقق ببطء شديد..

وبعدها ظهر طرف إيد من وسط التراب شبه إيد الإنسان!

طلعت ببطء شديد من تحت الأرض واستقرت فوق الرمل والأصابع اتحركت مرة واحدة كأن صاحبها بيتأكد إنه رجع للعالم من جديد..

أنا اتجمدت مكاني وشدام ما اتحركش لكن الحارس رجع خطوة للخلف وبعدها ظهرت الإيد التانية، وبدأ جسد كامل يطلع من تحت الأرض من غير استعجال وكأن الشخص ده مش محبوس وبيحاول يهرب، وإنما كان مدفون هناك بإرادته ومستني اللحظة المناسبة عشان يقوم، الرمل بدأ ينزلق من فوق كتفه ومن راسه وظهر جسده تدريجيا لحد ما وقف بالكامل فوق الأرض، كان طويل ومهيب بشكل يخلي وجوده لوحده يفرض الصمت على المكان، وملامحه كانت ساكنة بشكل مخيف وشعره مليان تراب لكنه مهتمش إنه ينفضه ولا حتى بص لجسمه، كأنه كان عارف إنه هيخرج من هنا في يوم من الأيام..

وقف سلهب وسط الرمال ورفع رأسه ببطء وفي اللحظة دي حسيت بحاجة اتغيرت في الجو حوالينا من غير ما أشوف أي شيء واضح كان فيه ضغط غريب على صدري والهالة اللي بدأت أشوفها بعين البصيرة كانت بتخرج من الأرض حواليه وتلتف حول جسمه وتختفي داخله مرة تانية كأن المكان بيرجع له قوته وهو بيتشربها في هدوء وصمت..

سلهب ما قالش كلمة لكنه بدأ يحرك عينيه ببطء، بص ناحية مرهوب وبعدين جرموق وبعدها بص لي وفضلت عينيه عليا ثواني طويلة كأنه بيحاول يفهم أنا مين وإزاي وصلت للمكان ده، بعدها اتحركت عينه ناحية شدام ووقفت عنده للحظة أطول وكأن الطاقة اللي حواليه لفتت انتباهه، وبعدين بص للحارس وهنا لأول مرة ظهرت حاجة مختلفة في عينيه، الحارس وقف مكانه تماما..

في اللحظة دي شفت الخوف لأول مرة في عين الحارس، لكن اللي حصل بعدها كان أغرب من الخوف نفسه، الحارس فجأة بدأ يرجع لورا خطوة واحدة من غير ما يحرك رجليه بإرادته وكأن جسمه فقد السيطرة عليه، وقف للحظة وحاول يثبت نفسه لكن الرمل تحت قدميه بدأ يتحرك وهو بيتسحب ببطء ناحية سلهب، حاول يقاوم ويحط كل قوته في رجليه لكن جسمه كان بيتحرك غصب عنه خطوة ورا خطوة، وكل ما يحاول يرجع للخلف كان شيء غير مرئي يشده أكتر ناحية سلهب..

الحارس مد إيده قدامه كأنه بيحاول يمسك الهوا أو يدفع القوة اللي بتجذبه لكن بدون فايده، ومع ذلك جسمه استمر في الانجذاب ناحية سلهب بشكل مرعب!

شدام كان واقف بيتابع اللي بيحصل من غير ما يتدخل وأنا كنت عاجز حتى عن الكلام، وكل اللي قدرت أعمله إني أبص للحارس وهو بيقاوم بكل قوته لكن المسافة بينه وبين سلهب

كانت بتقل ببطء، وسلهب نفسه ما اتحركش ولا خطوة واحدة كان واقف مكانه ساكت وباصص للحارس وكأن اللي بيحصل قدامه شيء طبيعي جدا..

الحارس حاول يصرخ لكن صوته خرج متقطع، سلهب ما ردش عليه وكل ما الحارس قال كلمة كان جسمه يقترب أكتر لحد ما بقى على بعد خطوات قليلة منه وهنا بدأت أشوف الهالة اللي حوالين سلهب بشكل أوضح كانت بتتحرك في المكان من غير صوت وكل ما الحارس يقاوم كانت الهالة تضيق حواليه أكتر كأنها إيد ضخمة غير مرئية ماسكة جسمه وبتسحبه ناحية صاحبها..

الحارس غرس رجليه في الأرض بكل قوته لدرجة إن الرمل اتجمع حوالين رجليه لكنه ما قدرش يثبت نفسه أكتر من ثواني، وفي اللحظة اللي بعدها اتسحب للأمام بعنف وخبط على ركبته قدام سلهب، بعدها اترسمت ملامح الغضب على وش سلهب في أقل من ثانية ورفع إيده بقوة ونزل بيها على جسم الحارس كله، سمعنا صرخته لكنها اتقطعت قبل ما يتقطع هو لأجزاء ويطير في الهوا!

انتهت

2026/9/9

روايات أخرى للكاتب:

- داخل مقبرة الفرعون (ورقي)
- القصّاص (ورقي)
- حكايات يجهلها العلم (الكتروني)
- فتيات أحبهن الجن (الكتروني)
- تلميذ الجن "الجزء الأول" (الكتروني)